الباب الثاني
العلاقات النصية في سياق لغة القرآن الكريم

مدخل:

إن الاعتناء بالمعاني التركيبية وفهمها في سياق لغة النص القرآني – لا شك – هو المقصود الأعظم. وأن هذه المعاني التركيبية لا يكون لها وجود دون نظم مسئول عن الربط أو الوصل بين وحداتها.

والوصل أو الربط بين وحدات هذه المعاني يبدو جليًا واضحًا حينا، وقد يختفي أحيانًا. ولا ريب أن هذا الربط أو الوصل بنوعيه: **الجلي والخفي** كان ولا يزال سببًا من أسباب إعجاز هذا النص في لغته الكريمة.

هذا، ولعل القارئ المتأمل في لغة النص القرآني يلحظ أن هذين الوصلين (**الخفي منهما والجلي**) مسئوليةٌ وقع عبئها على وشائج أو علاقات، صار بها هذا النص وكأنه سبيكة واحدة، تأخذ آياته وجمله وسوره برقاب بعضها بعضًا، بحيث لاتوجد بين وحداته أو أجزائه تفكك ولا ضعف، فآخره جاء مساوقًا لأوله، وجمله بدت في تناسق في لغته، ووحداته غدت حلقات متصلة البناء، يأخذ بعضه بعجز بعض. قال الشاطبي: «وهل للقرآن مأخذ في النظر على أن جميع سوره كلام واحد بحسب خطاب العباد، لا بحسبه في نفسه؟ فإن كلام الله في نفسه كلام لا تعدد فيه بوجه ولا باعتبار.. وإنما مورد البحث هنا باعتبار خطاب العباد تنزيلاً لما هو من معهودهم فيه هذا محل احتمال وتفضيل»[1].

فالنظم - إذن - نظمان: أحدهما يتعلق باعتبار كلام الله، فهو خطاب واحد لا يتجزأ في حمله للمقصود الأعظم. والنظم الثاني: باعتبار علاقته بالمتلقي الذي تختلف وسائل فهمه لهذا المقصود الأعظم عن غيره.

إذن فالنص القرآني باعتباره خطابًا يتسم بالشمول يصح أن يكون واحدًا «يتوقف

---

(١) الشاطبي ، الموافقات ٤/ ٢٧٤ - ٢٧٥ قدم له وحققه وعلق عليه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان للنشر والتوزيع - السعودية. ط: ١ صـ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

فهم بعضه على بعض بوجه ما؛ وذلك أنه يبين بعضه بعضًا؛ حتى إن كثيرًا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى... فإذا كان كذلك؛ فبعضه متوقف على البعض في الفهم؛ فلا محالة أن ما هو كذلك فكلام واحد؛ فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار»[١].

وإذا كان الشمول سمة تميز بها النص القرآني فإن ثمة سمات أُخر تجعله فارقًا لغيره من النصوص منها: التناسب، والتناص.

إن التناسب سمة أخرى للنص القرآني باعتباره كلامًا واحدًا في اللوح المحفوظ، وذلك قبل أن يتفرق بنزوله إلى السماء الدنيا قبل الأحداث والأسباب الداعية إلى ذلك. وهو كلام واحد- أيضًا - بعد أن عاد فتجمع على وفق الكتاب المكنون. فـ«فصل الخطاب أنه على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا»[٢].

إذن فالنص القرآني بسبب ترتيب سوره ونظم آياته - معجز وتناسبه هو أحد جوانب إعجازه، فكل آية فيه مكملة لما قبلها متصلة بما بعدها، و«إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها»[٣]، وذكر الإمام الرازي أن «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[٤] والمعنى الرابط في اللغة هو المشاكلة، والمقاربة، والمماثلة، وعليه فإن حدَّ المناسبة يرجع إلى اشتمال الآيات والسور على «معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه»[٥].

هذا عن التناسب ، وإذا انتقل بنا الحديث إلى التناص القرآني [*] فإننا نجده -

---

(١) الشاطبي ، الموافقات ٤/ ٢٧٥.

(٢) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٧.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٣٨.

(٤) الرازي ، التفسير الكبير ٥/ ٢٦٢.

(٥) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ٥/ ١٨٤٠ تحقيق مركز الدراسات القرآنية. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، بدون.

[*] (التناص القرآني) الذي يعنيه البحث هو الاقتصاص أو الاستدعاء أو تناص الخطاب القرآني مع نفسه .

أيضًا - سمة أخرى، سمة أساسية في النص القرآني، وهو تعبيُر حديثٍ عن قولٍ قديمٍ جليلٍ يتجلى في أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا. وتوضيحه أن «ما أجمل في مكانٍ فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر؛ لأن القرآن كتاب متشابه المعاني والأهداف»[١] وإذا كانت بؤرة السور المكية هي «العقيدة» والحديث في محاورها فإن البؤرة الرئيسة للسور المدنية هي «الشريعة» ومحورها من التنظيمات والتشريعات والجهاد في سبيل الله. غير أن القرآن ليس كتابًا مبوبًا ومفصلًا في بيان ذلك، بل إن الغالب على موضوعاته جميعها التداخل بحيث يشرح بعضه بعضًا، ويؤكد بعضه بعضًا. ومن أبرز آليات هذا التداخل، أو التكافل النصي ما جعله العلماء في: (التفصيل والإجمال، والعموم والخصوص، والمحكم والمتشابه أو الناسخ والمنسوخ).

إن هذه السمات النصية «الشمولية، والتناسب، والتناص» التي اتسم بها النص القرآني عبر وحداته النصية - وهي المعني بها البحث - لهي المحك في استكشاف الوحدة الخفية التي لمحها حذاق السلف والخلف في ترابط وتماسك المعاني عبر هذه الوحدات.

وهذه الوحدة الخفية في تماسك وترابط المعاني في وحدات النص القرآني - على الرغم من تعددها - تصلح مدخلًا ملائمًا لتفسير القرآن «تفسيرًا موضوعيًا»، والتفسير الموضوعي: هو استخلاص مضمون الموضوع الواحد عبر الوحدات النصية المتفقة أو المتشابهة في اللفظ أو في المعنى أو في الحكم أو فيها جميعًا. هذا نمط في التفسير الموضوعي، وفيه جهود قديمة وحديثة، ككتاب «المجاز» لأبي عبيدة[٢]، و«الإنسان في القرآن الكريم» لعباس محمود العقاد[٣]. وغير ذلك من الموضوعات كالجنة والنار والرسل... إلخ.

وثمة نمط آخر في إطار السورة منفردة باعتبار أن آياتها وجملها نزلت على وقائع

---

(١) محمد الغزالي ، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم صـ ٢٣، دار الشروق، القاهرة: ط: ١، ١٤١٣ - ١٩٩٢م.

(٢) أبو عبيدة ، مجاز القرآن . تحقيق محمد فؤاد سيزكين . مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٥.

(٣) عباس محمود العقاد ، الإنسان في القرآن الكريم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م.

وأسباب، وأن الدراسة الموضوعية لا تحاول رسم صورة لها تتناول أولها وآخرها وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وقد يختار من الآيات ما يبرر ملامح السورة أو إحدى القضايا التي تعرض لها. وفي هذا المجال جهود تذكر ككتاب (النبأ العظيم) للدكتور عبد الله دراز[١]، و(نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم) للشيخ محمد الغزالي.

هذا و(التفسير الموضوعي)المتحدث عنه غير (التفسير الموضعي)؛ فالأخير يهتم بالمعنى في حدود الجملة أو الآية، أما الأول فكما هو بين واضح يهتم بالمعنى الشمولي عبر الجمل والآيات، وذلك من خلال الروابط والعلاقات التي تحكم هذا المعنى الشمولي.

هذا، ولا يمكن للمعنى الشمولي أن تكون له أطر محكمة دون أن يكون هناك سياق يحكم هذه الأطر، ما دام هذا الفهم يتوقف على فهم «بعضه على بعض بوجه ما»[٢] كما قال الإمام الشاطبي.

فالسياق له دور مهم في إبراز هذا المعنى ، وبدونه ندرك خطر تمزيق النص وجعله عضين متفرقة بفهمه آية آية أو جملة جملةعلى حسب ما ينتقل إلى الأفهام من أسباب النزول.

إن البحث هنا - لا يدعو إلى أن أسباب النزول لا تمثل بدقة معنى الآيات أو الجمل، وإنما يدعو إلى أن دورها في النص دور التنوير والتوضيح ليس إلا، بمعنى أنها لا تفيد إلا في تحديد مدخل الآيات. أما «الشمولية» في المعنى - وهي سمة من سمات النص القرآني - فإننا لا يمكن استيعابها إلا بإعمال فكرة السياق.

ومن هذا المنطلق يعاود البحث مؤكدًا أن دراسة الفكرة الواحدة أو الموضوع الواحد عبر آيات وجمل القرآن كله أو من خلال سورة من سوره ليست بمنأى عن السياق؛ لأن الفهم الموضوعي - كما تقرر - يتوقف على فهم «بعضه على بعض بوجه ما». كل ذلك عبر منظومة من العلاقات النصية التي تربط بين الآيات والجمل صعدًا

---

(١) د. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، دار القلم الكويت ١٩٨٤.

(٢) الشاطبي ، الموافقات ٤/ ٢٧٥.

إلى النص أو الخطاب القرآني، بحيث تعمل هذه المنظومة في صورها المتعددة وفي وقت واحد عملًا متضافرًا في نسج المعنى ، الذي لا شك هو «المقصود الأعظم» من وراء هذه البناية التي انتهجتها لغة القرآن الكريم عبر وحداتها النصية والأجزاء.

وتأكيدًا لهذه الفكرة جاء هذا الباب يوضح عمليًا من خلال الوصف والتحليل مدى أهمية هذه العلاقات الرابطة، وذلك من جانبين:

أولهما: دراسة الأنماط التي جاءت عليها هذه العلاقات في سياق لغة النص القرآني. وهو ما جاء ممثلًا في الفصل الأول.

والثاني: بيان دور هذه العلاقات وفاعليتها من خلال سياق السورة القرآنية، باعتبارها وحدة من الوحدات النصية التي احتواها سياق لغة النص القرآني العام.وهذا ما جاء عليه الفصل الثاني.

***

الفصل الأول
أنماط العلاقات النصية في سياق لغة القرآن الكريم

توطئة الفصل:

يتناول هذا الفصل بيانا للأنماط النصية التي يندرج تحتها أنواع من الماهيات المعبرة عن مسميات لعلاقات مسئولة وظيفيًا عن تماسك سياق النص القرآني وترابطه. وليس المقصود - هنا - ببيان الأنماط النصية هو بيان عدد العلاقات التي تندرج تحتها؛ إذ العلاقات النصية لا تحصر بعدد معين؛ لأنها متولدة بتولد النصوص، متواردة بتواردها الضامن لها مشروعية التجدد والاستمرار. وإنما المراد ببيان الأنماط النصية بيان الشكل أو الهيئة التي اندرجت تحتها العلاقات أنواعًا وماهيات. فكل نص يقبل التحليل النصي يمكن تنميطه بأنماط ساقها النص ذاته، بحيث تساعد هذه الأنماط على دراسة تماسك وترابط النص عبر منظومة من العلاقات النصية كانت سببًا في نسج وتكوين وحداته.

وبدهي أن هناك فرقًا بين النمط والعدد؛ فالنمط هو الشكل أو الهيئة التي يندرج تحتها أنواع، وأن هذه الأنواع يندرج تحتها أعداد جمة. أما العدد فهو رقم قد ينتج عن عملية العدّ التي تعدُّ أسلوبًا من الأساليب المؤدية إلى الإحصاء.

ومن البدهي ـ أيضا ـ أنه ما دامت قد تعددت الوسائل والأدوات التي من شأنها التعبير عن ماهية العلاقات فإنه - لاشك - بتناولها في كل موضع من مواضع النص المحلل كنص القرآن الكريم سوف يؤدي إلى التكرار المفضى أو المنتهى بطبيعته إلى تضخم العمل البحثي الذي لا ريب يتنافى مع طبيعة البحث اللغوي. لذلك سوف ينهج البحث في هذا الفصل منهج الاستقراء الناقص لاستخلاص نماذج عامة من أنماط العلاقات النصية التي نسجت بها لغة النص القرآني.

هذا، ويُثبت النظر التحليلي في لغة القرآن الكريم أن ثمة نمطين جاءت من خلالهما أنواع العلاقات النصية وماهيتها.

أما النمط الأول فقد فرض التحليل النصي للغة النص القرآني أن يكون بعنوان : «العلاقات النصية المحلية» ويراد بها العلاقات النصية المركزية المنغلقة . وهي

العلاقات المسئولة وظيفيًا عن تماسك وترابط وحدات وأجزاء نص ما من نصوص لغة النص القرآني. ويندرج تحت هذا النمط نوعان من العلاقات النصية:

الأول منهما جاء بعنوان: «العلاقات النصية المحلية ذات الترابط اللفظي»، الذي انقسم بفرضية التحليل النصي إلى نوعين من العلاقات:

الأول : «العلاقات النصية الأداتية»

والثاني: «العلاقات النصية البنيوية»

وكل نوع منهما يندرج تحته أنواع من العلاقات النصية.

والثاني جاء بعنوان: «العلاقات النصية المحلية ذات الترابط المفهومي»

وهو ـ أيضا ـ يندرج تحته كوكبة من العلاقات النصية.

وجاء النمط الثاني بفرضية التحليل النصي بعنوان:«العلاقات النصية الاستدعائية» ويراد بها تلك العلاقات النصية اللامركزية المنفتحة، وهي العلاقات المسئولة وظيفيًا عن التماسك والترابط النصي بين وحدات وأجزاء نصوص السور القرآنية عموما . ويندرج تحت هذا النمط - أيضًا - نوعان من العلاقات النصية:

الأول منهما جاء بعنوان: العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط اللفظي ، الذي انقسم هو ـ أيضا ـ بفرضية التحليل إلى نوعين من العلاقات النصية:

الأول : «علاقة التشابه»

والثاني: « علاقة التكرار»

والثاني جاء بعنوان : العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي.

ويندرج هو ـ أيضا ـ تحته كوكبة من العلاقات النصية.

أنماط العلاقات النصية في سياق لغة القرآن الكريم

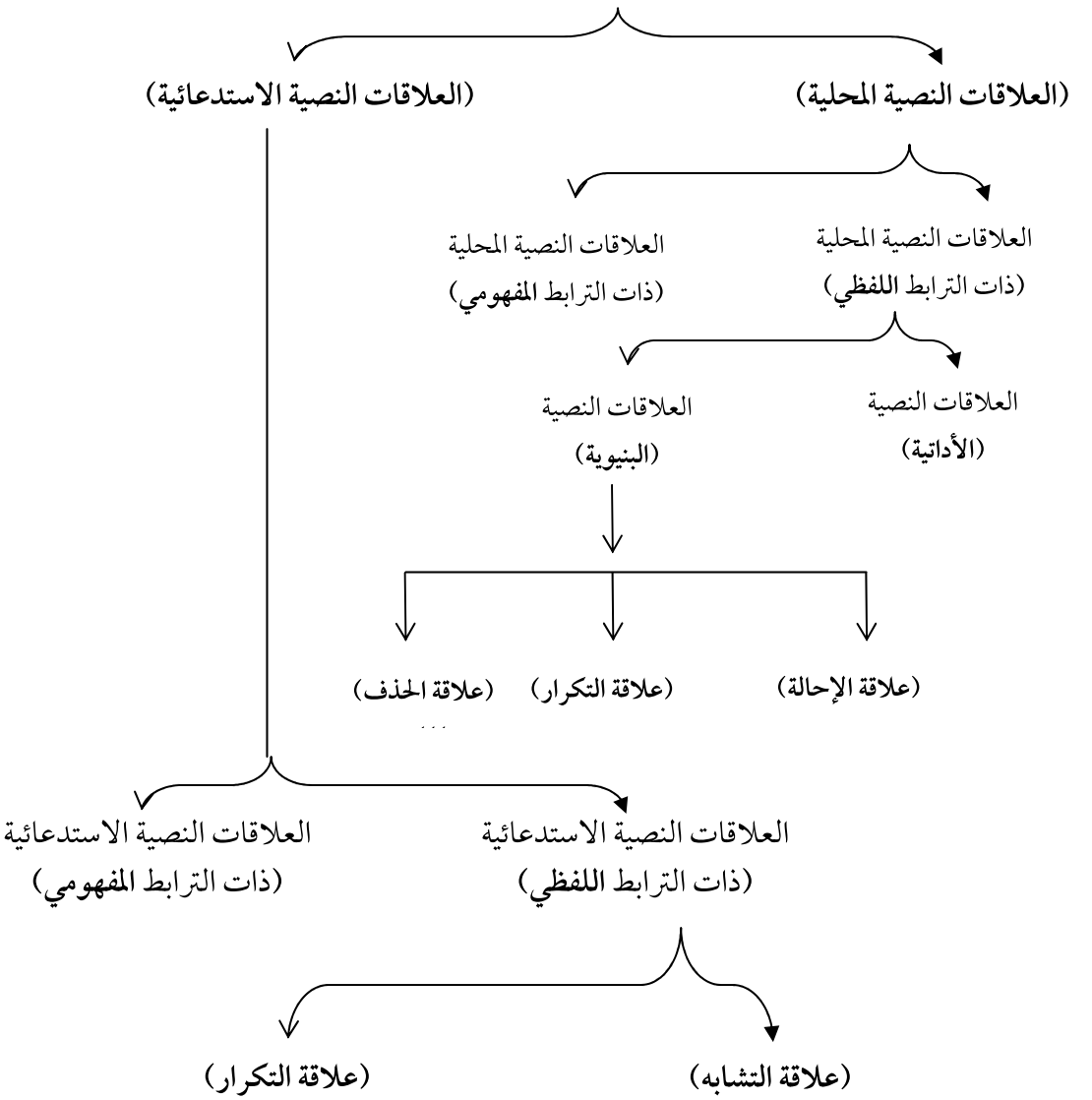

وثمة ملحظ يتصل بطبيعة التناول، إذ قد يقال: إذا كانت العلاقات النصية قد أُحكمت في هذين النمطين، وهما معلومان سلفًا بمجرد تحديد مفهومهما، فما الذي يمكن أن يقدمه البحث سوى بعض الأمثلة أو النماذج على هذين النمطين، وهو أمر ميسور، ولا جديد فيه، فكأنه تحصيل حاصل؟

وجواب هذا يعتمد على منظورين:

أولهما: أن التصور الذي وضع لهذين النمطين لم يكن ليأتي من فراغ أو تخيل، وإنما كان وليدَ طبيعةٍ جاءت عليها لغةُ القرآن الكريم، فالنص القرآني مقسم إلى وحدات نصية تمثلت في السور، وأن كل سورة لها سياقها الخاص بها. هذه جهة، ومن جهة أخرى إن هذه السور في وحداتها وأجزائها النصية عبارة عن شبكة متداخلة، يستدعي كل جزء أو كل وحدة غيرها حسب ما تتوارد المعاني وتتآلف بين وحدات نصية ثابتة وغيرها من الوحدات النصية المستدعاة.

والاستدعاء هذا - كما وضح البحث من قبل - مبدأ نصي في لغة القرآن الكريم تنبه إليه علماء العربية، مبدأ قائم على أن النص القرآني كله كلام متصل الوحدات والأجزاء يفسر بعضه بعضًا، ويدل على ذلك - كما قال ابن الشجري في الأمالي - «**أنه قد يذكر الشيء في سورة فيجيء جوابه في سورة أخرى؛ لأن القرآن يجري مجرى السورة الواحدة**»[(١)].

والثاني: أنه إذا كان نمطا العلاقات النصية - في كليتها - معلومين سلفًا، فإن السمات الجزئية الخاصة باستعمال لغة النص القرآني لها تحتاج إلى تتبع وتأمل، وهذه السمات ترد من حيثيات متعددة لا يحددها أو يعيّنُها سوى واقع النص القرآني ذاته، الذي اتسم بإعجاز لغته المختلفة نظمًا عن غيرها من اللغات.

وبناء على ما تقدم... اقتضت طبيعة هذا الفصل ــ ما دام الحديث موصولًا عن كتاب واحد يحمل في طياته نصًّا واحدًا هو لغة القرآن الكريم ــ أن يكون في مبحثين يكمل كل منهما الآخر.

أما المبحث الأول - وعنوانه: **العلاقات النصية المحلية في سياق لغة القرآن**

---

(١) ابن الشجري، الأمالي م ٢/ ١٤٢ - ١٤٥ تحقيق د.محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي.القاهرة.ط: ١. ١٩٩٢م.

الكريم - فقد جاء يتناول العلاقات النصية المركزية ، المتمثلة في الأدوات والألفاظ وكذا المفاهيم الرابطة بين وحدات وأجزاء سياق لغة النص القرآني المنغلق .

وجاء **المبحث الثاني** - وعنوانه: **العلاقات النصية الاستدعائية في سياق لغة القرآن الكريم** - يتناول العلاقات النصية اللامركزية المتمثلة في المفاهيم والألفاظ الرابطة بين وحدات وأجزاء سياق النص المنفتح على غيره من النصوص الواردة في لغة القرآن الكريم .

المبحث الأول

العلاقات النصية المحلية في سياق لغة القرآن الكريم

أوضح البحث فيما سبق أن العلاقات النصية المحلية أريد بها تلك العلاقات الداخلية أو المركزية المنغلقة على نص ما له سياقه الخاص به، يبتدأ بمطلع وينتهي بمقطع، دون أن يتجاوز أو يتداخل في تحليله بواسطة هذه العلاقات نصوصًا أخرى. وأن هذه العلاقات النصية مسئوليتها الوظيفية ــ هنا ــ تتحدد في تماسك وترابط وحدات وأجزاء النص المعين.

هذا، وقد انقسمت هذه العلاقات إلى نوعين بيانهما على النحو التالي:

الأول: العلاقات النصية المحلية ذات الترابط اللفظي

والثاني: العلاقات النصية المحلية ذات الترابط المفهومي

وسيشرع البحث ـ إن شاء الله تعالى ـ في عرض هذين المطلبين والحديث عنهما مؤيدًا ذلك بنماذج وأمثلة متنوعة في لغة القرآن الكريم .

أولا :العلاقات النصية المحلية ذات الترابط اللفظي

****

علاقات الترابط اللفظي هي: تلك العلاقات النصية الرابطة أو الواصلة بين وحدات النصوص عبر الوسائل الخطية أو القرائن الفظية.

وهذه العلاقات هي ما التقت ومفهوم (السبك)، أو ما سماه روبرت دي بوجراند (التتابع الرصفي) Sequencing، حيث أورد أن **كل** إجراء غايته وصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب يظهر فيه الترابط أو التماسك والتتابع بين الأجزاء المكونة للنص **هو شكل** من أشكال السبك[١]. وهذا يعني أن علاقات الترابط اللفظي أو العلاقات اللفظية يترتب على استنباطها إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق فيها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي[٢].

وقد حد بعض الباحثين علاقات الترابط اللفظي أو العلاقات اللفظية بما تحدثه الأدوات ومختلف الروابط اللفظية من تلاؤم وتلاحم وتماسك وترابط بين أجزاء النص ووحداته. فأورد أن المراد بها: «الجمل التي نجد فيها أدوات العطف، ومختلف الروابط الأخرى التي تعلق جملة بجملة»[٣].

إذن فعلاقات الترابط اللفظي أو العلاقات اللفظية تمثلها آليات مختلفة تعمل على تماسك النص وترابطه، وأن هذه الآليات ذات المبنى الوجودي للعلامة اللغوية هي التي تجسد هذه العلاقات الدلالية الرابطة. ومن هذه الآليات أدوات العطف، والاستئناف، والتفسير... إلخ . كل أداة بما تعبر عنه من علاقة رابطة، ومنها - أيضًا - الضمائر الشخصية، والإشارية المعبرة عن علاقة المرجعية أو الإحالة. كما أن التكرار بأنواعه والحذف بين الجمل يلعب دورًا مهمًا في هذا الترابط.. إلى غير ذلك من الوسائل التي تربط بين مكونات النص ربطًا خطيًّا أو لفظيًّا يعمل على تتابع لغة النص وتواصله.

---

(١) راجع دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء صـ ١٠٣.

(٢) المرجع السابق صـ ١٣٦.

(٣) د. محمد مفتاح ، دينامية النص (تنظير وإنجاز) صـ ٤٤.

هذا، وانطلاقًا من ملفوظ هذه الآليات وما تقوم به من دور وظيفي فاعل في بناء النص وعمارته انقسمت العلا قات المستنبطة من هذه الآليات إلى قسمين:

أولهما: العلاقات اللفظية «الأداتية».

والثاني: العلاقات اللفظية «البنيوية».

وليشرع البحث الآن في الحديث عن القسم الأول من هذه العلاقات «**العلاقات اللفظية الأداتية**» مبينًا دورها ومهمتها في ترابط وحدات النص وتماسك أجزائه.

أولاً- العلاقات اللفظية الأداتية:

تربط بين معاني الجمل أو المفاهيم الجزئية علاقات دلالية . ومرجع هذه العلاقات الدلالية - هنا - مبنى وجودي لعلامات لغوية أو أدوات تتجسد من خلالها هذه العلاقات الرابطة.

وهذه الأدوات أو العلاقات المستنبطة من وجودها تعمل على تماسك النص وترابطه، فهي تربط بين الجملة والجملة، وكذلك بين مجموع جمل ومجموع جمل أخرى. فالعطف كعلاقة - مثلًا - «موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل، فتعطف بعضًا على بعض، ثم تعطف مجموع هذى على مجموع تلك»[(١)].

أضف إلى ذلك أن هذه العلاقات المستوحاة من استعمال الأدوات تقوم بالجمع بين المعطوف والمعطوف عليه من الجمل، فتفيد العلاقة الرابطة أحيانًا مجرد الترتيب في الذكر، ومثال ذلك حرف (الواو) في العربية.

وقد تقوم العلاقة الرابطة كذلك بالجمع، ولكن قد يدخل معها معنى آخر غير الجمع يتعين به نوع العلاقة الزائدة بين الجملة والأخرى، وذلك مثل «**الفاء**» و«**ثم**» وغيرها في العربية حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين[(٢)]، كعلاقة الترتيب مع الفورحين تستعمل (الفاء)، وعلاقة الترتيب مع التراخي حين

---

(١) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز صـ ٢٤٥.

(٢) انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا صـ ٣٧.

تستعمل (ثم)[١]، إلى غير ذلك من العلاقات المستنبطة من استعمال الأدوات كعلاقة السببية، والاستبعاد، والتفسير، والاستدراك، والإضراب.. إلخ، كل علاقة حسب ما تمثله من الأدوات المرصودة في سياق النص.

إن هذه الأدوات - لا شك - تهدف إلى إحكام العلاقات النصية الرابطة بين أجزاء النص ووحداته، بل إن بدونها قد يصير النص مفككًا؛ ومن ثم لا يتضح معناه، «فترابط الجمل بعضها ببعض وتجاورها في بنية النص الواحد - كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة - مسئول عن تكوين سياق نصي معين يساعد على تفسير التراكيب داخل النص وكل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النص. والسياق الخاص هو الذي يصبغ الجمل ومكوناتها بصبغة خاصة»[٢].

فإذا صح أن ترابط الجمل بعضها ببعض مسئول عن تفسير التراكيب داخل النص، وكانت كل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها أو من خلال فهم ومعرفة السياق المحيط بها - **أقول**: إذا صح ذلك، وهو - لاشك - صحيح فإن ذلك يعني أن مبحثي الوصل والفصل لا يقفان عند الجزئيات، «بل ينظر إلى الأسلوب نظرة كلية قائمة على أساس العلاقة التي تربط بين جمله وعباراته»[٣].

هذا، وفي لغة القرآن الكريم نماذج لهذه العلاقات المستنبطة من استعمال الأدوات يمكن بيانها على النحو التالي:

- علاقة الجمع

علاقة دلالية تربط بين جملتين أو أكثر، تُجمع في إطار واحد دون قصد إلى الترتيب بينها. ويعبر عن هذه العلاقة بـ(الواو) العاطفة.

ويؤتى بالواو لتضم الجملة إلى أختها وتجمعها، «وليس - كما قال سيبويه - في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء ولا شيء مع شيء.. قالوا تجمع هذه الأشياء على هذه

---

(١) راجع: د. أحمد المتوكل، اللسانيات النصية (مدخل نظري) صـ ٢٥٤، الرباط، ١٩٨٧م.

(٢) د. محمد حماسة ، الإبداع الموازي : التحليل النصي للشعر صـ ٥٦.

(٣) د. عبد الواحد علام، القاعدة والنص: دراسة في الفصل والوصل صـ ١٣.

المعاني»[١]. وهذه العلاقة يشترط في استنباطها وجود مناسبة أو جهة جامعة بين الجملتين أو الجمل، والجهة الجامعة هذه تمثل الرابط الدلالي.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ففي الآية الكريمة جمعت **(الواو)** بين الجملتين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وإذا حذفت (الواو)- لاشك - يؤدي إلى اللبس، فالآية سوف تصبح ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ . إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وبهذا تصبح الجملة الثانية توكيدًا للأولى، وهذا - لا ريب - يغير من الدلالة المقصودة للآية ؛ ومن ثم كان من الواجب ذكر الأداة؛ للجمع بين هاتين الجملتين، فالعبادة غير الاستعانة، لكن يجمع بينهما كونهما موجهتين إلى الله تعالى من عباده المؤمنين.

وفي قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {٥} وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ {٦} وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ{٧}﴾ [الرحمن: ٥ - ٧]، ينبه صاحب الكشاف عن الجهة الجامعة أو المناسبة الخافية بين طرفي الجملتين في قوله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {٥} وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ{٦}﴾ حيث قال: «فإن قلت: أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف، قلت: إن الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله تعالى؛ فهو مناسب لسجود النجم والشجر»[٢].

ويمثل لعلاقة الجمع - أيضًا - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ **وَأُولَئِكَ** هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، وقبله - كذلك قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ **وَأُولَئِكَ** الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ **وَأُولَئِكَ** أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾ [الرعد: ٥].

وتظهر علاقة الجمع - كذلك - في قوله تعالى: ﴿...**وَآمِنُوا** بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ **وَلاَ تَكُونُوا** أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ **وَلاَ تَشْتَرُوا** بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً **وَإِيَّايَ** فَاتَّقُونِ {٤١} **وَلاَ تَلْبِسُوا** الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ {٤٢} **وَأَقِيمُوا** الصَّلاَةَ **وَآتُوا** الزَّكَاةَ **وَارْكَعُوا** مَعَ الرَّاكِعِينَ{٤٣}﴾ .[البقرة، ٤٢، ٤٣]

---

(١) سيبويه، الكتاب ١/ ٤٣٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٤/ ٤٤.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] تمثيل - أيضًا - لعلاقة الجمع؛ فمن المعلوم أن السجود بعد الركوع؛ لذلك جاءت العلاقة للجمع دون ترتيب.

ويمثل لعلاقة الجمع - كذلك - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {١٣} وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ{١٤}﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] ويبدو أن الجهة الجامعة هي المخالفة أو المقابلة بين الجملتين.

كما تتمثل علاقة الجمع في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، كما تتضح - أيضًا - في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى {١٤} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى{١٥}﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥] وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {٩} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا{١٠}﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى {٦} وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى {٧} وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى{٨}﴾ [الضحي: ٦-٨] تمثيل لعلاقة الجمع. وتتمثل- أيضًا- العلاقة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ {٨} وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ {٩} وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ{١٠}﴾ [الضحي: ٨-١٠].

هذا عن علاقة الجمع بين جملة وأخرى، وهناك علاقة الجمع - أيضًا - بين مجموعة جمل ومجموعة جمل أخرى؛ والحديث - هنا - عن علاقة الجمع ينطوى كله تحت قصة واحدة لمواقف مختلفة.

ومن ذلك قصة موسى مع بني إسرائيل التي توزعت في غير سورة من سور القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في سورة البقرة متحدثا عن هذه القصة ، وقد لعبت – لا شك - علاقة الجمع فيها دورًا فاعلاً.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [الآية: ٥٠].

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ {٥١} ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ{٥٢}﴾ [الآيتان: ٥١، ٥٢].

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: ٥٣].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية: ٥٤].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ.....﴾ [الآيات: ٥٥ - ٥٦- ٥٧].

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ .....﴾ [الآيتان: ٥٨ - ٥٩].

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ .....﴾ [الآية: ٦٠].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ....﴾ [الآية: ٦١].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {٦٣} **ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ** .....﴾ [الآيتان: ٦٣، ٦٤].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ {٦٥} فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ{٦٦}﴾ [الآيتان: ٦٥، ٦٦].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ .....﴾ [الآيات من ٦٧ - ٧٤].

وهكذا - كما تبين على النحو السابق - تعطف مجموعة من الجمل أو قطعة كاملة أو فقرة على أخرى، وقد تكون هذه الفقرة من آية واحدة أو عدد من الآيات، يشتمل كل منها على كثير من الجمل التي ترتبط هي الأخرى فيما بينها بروابط وعلاقات أداتية وغير أداتية.

هذا مع العلم أن هذه العلاقة (علاقة الجمع) لم تُفْصَلْ في وحداتها النصية أي: الآيات والجمل التي امتدت من الآية (٤٩) إلى الآية (٧٤) إلا بتعقيب ورد في الآية (٦٢) التي يمثلها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ .....﴾ إلى نهاية الآية تعقيبًا بعد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ .....﴾ إلى نهاية الآية (٦١).

- علاقة الضم

علاقة دلالية تربط بين مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه. وتنشأ هذه العلاقة من ضم جمل مسوقة لغرض إلى أخرى مسوقة لآخر. والمقصود بالعطف هنا المجموع، ويشترط فيه - أيضًا - المناسبة بين الغرضين ويعبر عن هذه العلاقة بـ(**واو**) الاستئناف كما أطلق عليها النحاة[١] أو كما أطلق عليها الزمشخري (**واو**) القصة[٢]. وأن هذه العلاقة في وجود هذه الأداء (**الواو**) تضم قصة على قصة، أعني مضمون كلام أو جمل مسوقة لغرض على مضمون كلام أو جمل مسوقة لغرض آخر.

ومما يمثل لهذه العلاقة قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

ويعلق ابن عاشور في تفسيره على هذه الآية قائلًا: «وجعل جملة (وبشر) معطوفة على مجموع الجمل المسوقة لبيان وصف عقاب الكافرين، يعني جميع الذي فصِّل في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا .....﴾ [من الآية ٢٤ سورة البقرة] إلى قوله ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، فعطف مجموع أخبار ثواب المؤمنين على مجموع أخبار عقاب الكافرين. والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع، وليس هذا عطفًا لجملة معينة على جملة معينة الذي يطلب معه التناسب بين الجملتين في الخبرية والإنشائية»[٣].

ومثال ذلك - أيضًا - لعلاقة الضم قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً {١٥٥} وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا {١٥٦} وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا {١٥٧} بَل رَّفَعَهُ

---

(١) راجع: ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/ ٤١٤.

(٢) راجع: الزمخشري ، الكشاف ١/ ٢٥٣وما بعدها.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٣٥٧.

اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا{١٥٨}﴾ [النساء: ١٥٥ - ١٥٨].

وفي هذا تتضح علاقة الضم التي جمعت بين مجموعة من الجمل تم بينها عطف جزئي ومجموعة أخرى تم كذلك بينها عطف جزئي.

ويوضح الزمخشري هذا فيقول: «.. عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه، كأنه قيل: فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء، وقولهم قلوبنا غلف، وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى، عاقبناهم»[(١)].

وفي سورة الكهف تتضح - أيضًا- علاقة الضم جلية ؛ فالسورة المباركة تحمل في طياتها تفصيلات لبعض القصص، وهي قصة أهل الكهف، والجنتين، وآدم مع إبليس، وموسى والعبد الصالح، وذي القرنين. وكل هذه القصص تترابط وتتماسك من خلال علاقة الضم، وهي علاقة دلالية جمعت بين هذه القصص مع وجود الجهة الجامعة بينها جميعًا.

مع ملاحظة أن كل قصة يعقبها تعقيب تناسب وموضوعها الذي سرعان ما ينتهي كي تبدأ قصة أخرى مضمومة إلى ما قبلها التي تنتهي ويبدأ تعقيب عليها، وهكذا دواليك إلى أن ينتهي القصص.

ولنتأمل كيف كان لعلاقة الضم هذا الدور الفاعل، وذلك من خلال تتبعنا مطالع هذه القصص ثم مقاطعها.

قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا {٩} إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.....﴾ [الكهف: الآيات من ٩ إلى ٢٦].

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا...﴾ [الكهف: الآيات من ٣٢ إلى ٤٢].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ....﴾ [الكهف: الآية ٥٠].﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ...﴾ [الكهف:٦٠ إلى ٨٢].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا {٨٣} إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا .....﴾ [الكهف: الآيات من ٨٣ إلى ٩٨].

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ١/ ٥٧٩.

ومثل ذلك أيضًا ما ورد في سورة الأنبياء، حيث كان لعلاقة الضم الدور البارز في تماسك وترابط الوحدات والأجزاء. فقد ورد في السورة الكريمة قصص لأنبياء الله تعالى .كل قصة مضمومة إلى أختها في تسلسل يحتاج منا التأمل والتدبر؛ كي تقف على دور هذه العلاقة في رصف الكلام وضمه في مجموعه إلى غيره من مجموع.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ .....﴾ [الأنبياء: الآية ٤٨]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ {٥١} إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ....﴾ [الآيات من ٥١ إلى ٧٣].

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ .....﴾ [الآيات من ٧٤ إلى ٧٧].

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ .....﴾ [الآيات: من ٧٨ إلى ٨٢].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {٨٣} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ .....﴾ [الآيتان: ٨٣، ٨٤].

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ {٨٥} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ....﴾ [الآيتان: ٨٥، ٨٦].

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا .....﴾ [الآيتان: ٨٧ - ٨٨].

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ....﴾ [الآيتان: ٨٩، ٩٠].

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ....﴾ [الآية: ٩١].

وما ورد - كذلك - في سورة النمل يعد تمثيلاً لدور علاقة الضم ووظيفتها في تماسك وحدات النص وترابط أجزائه. ولنقرأ السورة الكريمة ونتأمل روابطها، وكيف بدأ القصص بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ....﴾ [الآية: ٧] الذي امتد يفصِّل الكلام في قصة موسى إلى نهاية الآية الرابعة عشرة، حيث تبدأ قصة جديدة بمقطع جديد هو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا .....﴾ [الآية: ١٥] الذي امتد إلى نهاية الآية الرابعة والأربعين ليبدأ مقطع جديد مضمومًا إلى سابقه بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا....﴾ [الآية: ٤٥] الذي امتد إلى نهاية الآية الثالثة والخمسين ليبدأ مقطع جديد مضموما هو ـ أيضا ـ إلى سابقه ، هو قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ....﴾ [الآية: ٥٤] الذي امتد يفصل القول في قصة لوط إلى نهاية الآية الثامنة والخمسين.

وهكذا من نماذج في لغة القرآن الكريم تتضح أهمية علاقة الضم، التي من شأنها ضم مجموع جمل مسوقة لغرض إلى أخرى مسوقة لغرض آخر.

- علاقة الترتيب

علاقة دلالية مفهومها أن يكون مضمون الجملة السابقة مبدوءًا به، يتلوه مضمون الجملة اللاحقة. ويعبر عن هذه العلاقة (الفاء، وثم) ويفرق النحاة بين الأداتين في إفادة الترتيب، فيذكرون أن (الفاء) تفيد الترتيب والتعقيب بلا مهلة، وأن (ثم) تفيد الترتيب بين الأحداث مع التراخي والمهلة[(١)].

ففي قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ {٢٦} فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ{٢٧}﴾ [الذاريات ٢٦، ٢٧] تمثيل لعلاقة الترتيب والتعقيب بلا مهلة، وذلك باستخدام أداة (الفاء).

وكذلك في سورة الذاريات قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩] تمثيل لعلاقة الترتيب والتعقيب بلا مهلة.

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] تتضح - أيضًا - هذه العلاقة.

وجاءت (**الفاء**) في قوله تعالى من سورة الكهف تمثيل لهذه العلاقة ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ**..﴾ [الكهف: ٥٧].

فالفاء - هنا - للتعقيب بلا مهلة، أي أنهم أعرضوا فور التذكير بها.

هذا عن علاقة الترتيب والتعقيب بلا مهلة، وإذا انتقل بنا الحديث إلى علاقة

---

(١) راجع: ابن مالك ، شرح التسهيل ٣/ ٣٥١ تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة. ط: ١، سنة١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

الترتيب مع التراخي والمهلة فإننا نجد الأداة (ثم) تتصدر الباب في هذه العلاقة، ومما يمثل لهذه العلاقة قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨].

ويوضح صاحب الكشاف هذه العلاقة قائلًا: «فإن قلت: لم كان العطف الأول بالفاء والإعقاب بثم؟ قلت: لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بلا تراخ، فأما الموت فقد تراخى عن الإحياء، والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت، إن أريد به النشور تراخيًا ظاهرًا، وإن أريد به إحياء القبور فمنه يكتب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء أيضًا متراخ عن النشور»(١).

كما يمثلها أي علاقة الترتيب مع التراخي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ ....﴾ [البقرة: ٣١]. قال أبو حيان موضحًا: «(ثم) حرف تراخ ومهلة، علم آدم ثم أمهله من ذلك الوقت إلى أن قال: أنبئهم بأسمائهم؛ ليتقرر ذلك في قلبه»(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ ....﴾ [البقرة: ٩٢] يقول القرطبي: «(ثم) أبلغ من الواو في التقريع، أي بعد النظر في الآيات والإتيان بها اتخذتم العجل، وهذا يدل على أنهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات، وهذا أعظم لجرمهم»(٣).

كما تتضح - أيضًا - في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]. قال أبو حيان: «وعطف بثم للتراخي الحاصل بين مقامات يوم القيامة في المواقف، فإن فيه مواقف، بين كل موقف وموقف تراخ على حسب طول ذلك اليوم»(٤).

وفي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ {٧٥} وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١/ ٢٧٠.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط ١/ ٢٣٦، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. بدون.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم ١/ ٤٢٣، دار الريان للتراث، القاهرة.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط ٤/ ٤٦٤.

الْعَظِيمِ {٧٦} وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ {٧٧} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآَخِرِينَ {٧٨} سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ {٧٩} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {٨٠} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {٨١} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآَخَرِينَ{٨٢}﴾ [الصافات: من ٧٥ إلى ٨٢] . ويوضح الجمل أن (أَغْرَقْنَا الآَخَرِينَ) «معطوف على نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ، فالترتيب حقيقي، لأن نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الآخرين»[(١)].

وقد تأتي علاقة الترتيب مع التراخي باستعمال (الفاء)، ويمثل لذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤]. فالفاءات في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ وفي ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ وفي ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾. جاءت بمعني (ثم) لتعبر عن علاقة الترتيب بمهلة؛ وذلك لتراخي معطوفاتها[(٢)].

هذا عن علاقة الترتيب بالتعقيب أو المهلة وهي كما هو بين علاقة زمنية متعلقة بحدوث الحدث تعقيبًا أو تمديدًا وتراخيًا في الزمن. وهنا ترتيب آخر لايراد به الترتيب الزمني لحدوث الحدث وإنما يراد بالترتيب ترتيبًا في الذكر، أي أن المذكور من الجمل بعد الأداتين (**الفاء وثم**) يكون كلامًا مرتبًا على ما قبلها في الذكر، لا أن مضمونها عقب مضمون ما قبلها في الزمان.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [الزمر: ٧٤] وذلك؛ لأن ذكر ذم الشيء أو مدحه إنما يصح بعد جرى ذكره[(٣)].

ومما يمثل - أيضًا - لعلاقة الترتيب من غير اعتبار التراخي والمهلة قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾ [النساء: ١٥٣]. فـ(**ثم**) - هنا - للترتيب في الإخبار، لا في نفس الأمر، ثم كان أن اتخذوا العجل،

---

(١) الجمل: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ٣/ ٥٤١ دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي، القاهرة.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٤/ ٢٩٥.

(٣) انظر: الاستراباذي ، شرح الكافية في النحو ٢/ ٣٦٥، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

أي آباءهم، والذين صُعقوا غير الذين اتخذوا العجل[١].

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]. فـ(ثم) لترتيب الإخبار، لا للترتيب في الزمان[٢].

- علاقة الاستبعاد

علاقة دلالية يعبر عنها باستعمال الأداة «ثم» ومفهومها: استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها. وقد يعبر عن علاقة الاستبعاد بالتفاوت أي بتفاوت مرتبة ما بعدها عما قبلها[٣].

ويمثل لهذه العلاقة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ {٨٤} **ثُمَّ أَنْتُمْ** هَؤُلاَءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ....﴾ [البقرة: الآيتان ٨٤، ٨٥].

قال أبو السعود موضحًا هذه العلاقة: «خطاب خاص في الحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق به والشهادة عليه»[٤].

وتتضح - أيضًا - هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ **ثُمَّ إِنَّ** كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]. فـ(ثم) - هنا - توضح العلاقة فهي للتراخي في الرتبة والاستبعاد[٥].

ويقول الزمخشري موضحًا علاقة الاستبعاد في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ **ثُمَّ الَّذِينَ** كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]: «معني (ثم) استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته»[٦].

ومما يمثل علاقة الاستبعاد - أيضًا - قوله الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ**

---

(١) راجع: أبو حيان، البحر المحيط ٤/ ١٢١.

(٢) راجع: أبو حيان، البحر المحيط ٦/ ١١٩.

(٣) راجع: الاستراباذي، شرح الكافية ٢/ ٣٦٧.

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١/ ١٢٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٥) راجع: السابق ٣/ ٣٠.

(٦) الزمخشري، الكشاف ٢/ ٤.

﴿رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢]. فـ(ثم) - هنا - علامة على علاقة الاستبعاد، «والمعنى إن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعادة، كما تقول لصاحبك: وجدت تلك الفرصة ثم لم تنتهزها»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا {١٤} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ{١٥}﴾ [المدثر: ١٤، ١٥]- أيضًا - بيان لهذه العلاقة. فالمعنى: استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه[(٢)].

- علاقة الإضراب

علاقة دلالية يعبر عنها بـ(بل)، وتفيد إما إبطال حكم سابق أو الانتقال إلى غرض آخر[(٣)]، ويوضح سيبويه أنها: «لترك شيء من الكلام وأخذ في غيره»[(٤)]. ويبين ابن يعيش مفهوم هذه العلاقة من خلال لغة القرآن الكريم فيقول: «وعلى ذلك يأتي في الكتاب العزيز نحو قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥] ثم قال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]. كأنه انتهت القصة الأولى فأخذ في قصة أخرى، ولم يرد أن الأول لم يكن. وكذلك قوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] وهو كثير في القرآن الكريم»[(٥)].

وانطلاقًا مما تقدم - يمكننا القول: إن علاقة الإضراب من حيث المعنى تنقسم أو تتفرع إلى نوعين:

أولهما: علاقة الإضراب الإبطالي

والثاني: علاقة الإضراب الانتقالي.

أولاً: علاقة الإضراب الإبطالي

ومما يمثل لها في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٤٦.

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٨٢.

(٣) راجع، ابن هشام في المغني ١/ ١٣٠.

(٤) سيبيويه، الكتاب ٤/ ٢٢٣.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل ٨/ ١٠٥. مكتبة المتنبي، القاهرة.

قال أبو حيان: «(بل) للإضراب، وليس إضرابًا في اللفظ المقول؛ لأنه واقع لا محالة، فلا يضرب عنه، وإنما الإضراب عن النسبة التي تضمنها قولهم: إن قلوبهم غلف؛ لأنها خلقت متمكنة من قول الحق، مفطورة لإدراك الإضراب، وأخبروا عنها بما لم تخلق عليه، ثم أخبر أنهم لعنوا بسبب ما تقدم من كفرهم»(١).

ويوضح العكبري هذه العلاقة من خلال قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩] حيث قال: «تقديره: أخطأوا بل الله يزكي من يشاء»(٢).

كما أن هذه العلاقة تتضح من قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا {١٥٧} بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ{١٥٨}﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]. فـ«هذا إبطال لما ادعوه من قتله وصلبه، وهو في السماء الثانية على ما صح عن الرسول ﷺ في حديث المعارج»(٣).

ويعلق صاحب الكشاف موضحًا هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٤ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ...﴾ [الأنبياء: ٤، ٥] قائلًا: «أضربوا عن قولهم: هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر»(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ {٧} أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلاَلِ الْبَعِيدِ{٨}﴾ [سبأ: ٧، ٨] . يوضح صاحب البحر المحيط هذه العلاقة قائلًا: «وأضرب الله عن مقالتهم، والمعنى: ليس الرسول كما نسبتم ألبتة،

---

(١) أبو حيان ، البحر المحيط ١/ ٤٨٤.

(٢) العكبري ، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ١/ ١٨٢ تصحيح وتحقيق أ/ إبراهيم عطوة عوض. دار الحديث القاهرة، وقال أبو حيان: « (بل) إضراب عن تزكيتهم أنفسهم؛ إذ ليسوا أهلًا لذلك »
البحر المحيط ٣/ ٦٧٣.

(٣) أبو حيان ، البحر المحيط ٤/ ١٢٨.

(٤) الزمخشري ، الكشاف ٢/ ٥٦٣.

بل أنتم في عذاب النار، أو في عذاب الدنيا بما تكايدونه من إبطال الشرع»[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]. قال الزمخشري: « بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ » إنكار لقوله، كأنه قال: ما خولناك من النعمة لما تقول: بل هي فتنة وامتحان لك أتشكر أم تكفر»[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: ٨] «إضراب عن مقدر كأنه: إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه»[(٣)].

ثانيًا: علاقة الإضراب الانتقالي

ومن نماذجها قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ {١} بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ{٢}﴾ [ق: ١، ٢].

ففي قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: تبدأ الجملة بأداة دالة على علاقة الإضراب، والإضراب هنا يفيد الانتقال. يقول العكبري: «(بل): للخروج من قصة إلى قصة»[(٤)].

وهذا الإضراب لا يعني انقطاع النص، بل هو كما لاحظ صاحب تفسير الظلال أنه تنبيه «لليقظة والاهتمام على بدء حديث كأنه جديد عن عجبهم واستنكارهم لما جاءهم به رسولهم في القرآن المجيد من أمر البعث والخروج»[(٥)].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ {١٤٩} بَلِ اللهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ{١٥٠}﴾ [آل عمران: ١٤٩، ١٥٠] يوضح أبو حيان دلالة (بل) على علاقة الإضراب الانتقالي: «من أنها لترك الأول من

---

(١) أبو حيان ، البحر المحيط ٨/ ٥٢٢.

(٢) الزمخشري ، الكشاف ٣/ ٤٠٢.

(٣) الجمل ، الفتوحات الإلهية ٣/ ٥٦٢.

(٤) العكبري ، إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٤١.

(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٥٧ . دار الشروق ، القاهرة ، ط: ٣٥، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

غير إبطال وأخذ في كلام غيره، والمعنى ليس الكفار أولياء فيطاعوا في شيء، بل الله مولاكم»[١].

وتتضح علاقة الإضراب الانتقالي - أيضًا - في قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ {١} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ{٢}﴾ [ص: ١، ٢] - فـ«(بل) للانتقال من هذا القسم والمقسم عليه إلى حالة تعزز الكفار..»[٢].

ومن نماذجها - أيضًا - في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةَ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨]. يقول صاحب الفتوحات الإلهية موضحًا هذه العلاقة: «إضراب انتقالي عن نفي النصرة لما هو أخص منها، إذ نفيها يصدق بحضورها عندهم بدون النصرة، فأفاد الإضراب أنهم لم يحضروا بالكلية فضلا عن أن ينصروهم»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ {٤٥} بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ{٤٦}﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦] تتضح العلاقة في نوعها حيث «انتقل من تلك الأقوال إلى أمر الساعة التي عذابها أشد عليهم من كل هزيمة وقتال»[٤].

وتتضح - أيضًا - العلاقة في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ {١٧} فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ {١٨} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ{١٩}﴾ [البروج: ١٧ - ١٩]. يقول الجمل في الفتوحات: «هذا إضراب انتقالي للأشد كأنه قيل: ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك فإنهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزجروا»[٥].

إلى غير ذلك من النماذج الدالة على هذه العلاقة المستنبطة من استعمال (بل) وهي كثيرة في لغة القرآن الكريم.

هذا، وقد تستنبط علاقة الإضراب - أيضًا - ولكن في حال استعمال أداة لغوية غير

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط ٣/ ٣٧٦.
(٢) المرجع السابق ٩/ ١٣٦.
(٣) الجمل، الفتوحات الإلهية ٤/ ١٣٥.
(٤) أبو حيان، البحر المحيط ١٠/ ٤٧.
(٥) الجمل، الفتوحات الإلهية ٤/ ٥١٦.

(بل). ويُعنى بهذه الأداة (أم) المنقطعة . والانقطاع - هنا - يراد به الإضراب- عن كلام سابق واستئناف كلام جديد.

وتختص (أم) المنقطعة بدلالة أسلوبية هي بناء الكلام على الظن والشك والاستفهام.

وحين يتصل النظر النحوي بلغة النص القرآني يختلف توجيه هذه الدلالات التي تفيدها (أم) المنقطعة. فيتوجه النحاة إلى معايير تتناسب مع سياق لغة النص أو الخطاب القرآني. فـ(أم) تفيد الإضراب بمعنى الانتقال من حديث إلى حديث مستأنف. ويضاف إلى الإضراب دلالات أخرى. يقول ابن هشام: «ومعنى (أم) المنقطعة التي لا يفارقها الإضراب، ثم تارة تكون له مجردًا، وتارة تتضمن مع ذلك استفهامًا إنكاريًا، أو استفهامًا طلبيًا»[١].

وإنما حدا النحاة إلى عدم حصر الأداة (أم) في دلالة واحدة على علاقة الإضراب أنهم وجدوا أن هذا المعنى لا يصلح مع بعض نصوص القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، يقول ابن هشام: «إذ لو قدرت للإضراب المحض لزم المحال»[٢].

ويحدد أبو حيان أنه يقدر (أم) بـ(بل والهمزة) إذا وقع بعدها (هل) أما إذا وقع بعدها أداة استفهام أخرى فيقدرها بـ(بل) وحدها[٣].

ومن نماذج استخدام (أم) المنقطعة دالة على علاقة الإضراب قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

قال الزمخشري معلقًا يوضح مدلول (أم): «نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، فقال مالي لا أرى الهدهد، على معنى أنه لا يراه، وهوحاضر لساتر ستره، أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له»[٤].

---

(١) ابن هشام ، مغني اللبيب ١/ ٥٥.
(٢) المراجع السابق ١/ ٥٥.
(٣) راجع أبو حيان ، البحر المحيط ٦/ ٣٧١.
(٤) الزمخشري ، الكشاف ٣/ ١٤٢.

وقد تدل (أم) المنقطعة على العلاقة وذلك من خلال الابتداء بقصة جديدة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا {٨} أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا {٩}﴾ [الكهف: ٨، ٩].

حيث انتقل الأسلوب من الحديث عن زينة الأرض وقدرة الله تعالى عليها الذي كان بمثابة التمهيد إلى قصة تجسد هذه القدرة هي قصة أصحاب الكهف.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ {١٤٩} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا{١٥٠}﴾ [الصافات: ١٤٩، ١٥٠] دليل على علاقة الإضراب بأم المنقطعة التي جاءت بمعنى بل. والهمزة للاستفهام الإنكاري[١].

- **علاقة الاستدارك**

علاقة دلالية يعبر عنها بـ(لكن)، والاستدارك يعني تعقيب الكلام بنفى ما يتوهم ثبوته أو إثبابت ما يتوهم نفيه، أو رفع ما يتوهم من الكلام السابق رفعًا تشبيهًا بالاستثناء[٢]. ومن ثم قُدر الاستثناء المنقطع بـ(لكن).

عد سيبويه الأداة (لكن) من «الحروف التي يجوز أن يليها بعدها الأسماء، ويجوز أن يليها بعدها الأفعال»[٣]. كما أنه ذكر أنها من حروف الابتداء مثل (بل) فقال: «وإن شئت رفعت فابتدأت على هُوَ فقلت: ما مررت برجل صالح ولكن طالح، وما مررت برجل صالح بل طالح، ومررت برجل صالح بل طالح؛ لأنها من الحروف التي يبتدأ بها»[٤].

وينص ابن هشام على أن «لكن» حرف ابتداء، فيقول: «فإن وليها كلام فهي حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك»[٥].

---

(١) راجع أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ٧/ ٢٠٧. حيث قال تعليقًا: «وقوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا﴾ إضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق إلى التبكيت بهذا كما أشير إليه، أي بل أخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الأجسام ورذائل الطبائع إناثًا».

(٢) راجع: الفطاني ، تسهيل نيل الأماني في شرح عوامل الجرجاني صـ ١٢مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة. ط: الأخيرة.

(٣) سيبويه ، الكتاب ٣/ ١١٦.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٣٥.

(٥) ابن هشام، المغني ١/ ٣٢٢.

ومن نماذج هذه العلاقة في لغة النص القرآني قوله تعالى حكاية عن الذين هادوا: ﴿**وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** {١٦١} **لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا**{١٦٢}﴾ [النساء: ١٦١، ١٦٢]

ففي قوله تعالى ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ....﴾ استدراك من قوله تعالى ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾[١] وما بعد لكن جملة اسمية مستأنفة.

ومن نماذجها- أيضًا- في لغة النص القرآني قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ {٨٧} **لَكِنِ الرَّسُولُ** وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٨٨}﴾ [التوبة: ٨٧، ٨٨].

يقول صاحب البحر المحيط موضحًا هذه العلاقة: «لما ذكر أن أولئك المنافقين اختاروا الدعة وكرهوا الجهاد وفروا من القتال، وذكر ما أثر ذلك فيهم من الطبع على قلوبهم ذكر حال الرسول والمؤمنين»[٢]. (استدراكًا) كما بين أن «لكن وضعها أن تقع بين متنافيين، ولما تضمن قول المنافقين ذرنا واستئذانهم في القعود كان ذلك تصريحًا بانتفاء الجهاد . فكأنه قيل: رضوا بكذا ولم يجاهدوا، **ولكن الرسول** والذين آمنوا معه جاهدوا»[٣].

ومما يمثلها- أيضًا- قوله تعالى: ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ {١٩٦} مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ {١٩٧} **لَكِنِ الَّذِينَ** اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ{١٩٨}﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٨].

ويوضح صاحب روح المعاني هذه العلاقة قائلًا: «(لكن) للاستدراك عند النحاة وهو رفع توهم شيء من السابق وعند العلماء البلاغيين لقصر القلب ورد اعتقاد المخاطب. وتوجيه الآية على الأول (أي النحاة) أنه لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم في التجارة وتصرفهم في البلاد لأجلها جاز أن يتوهم متوهم أن التجارة من حيث هي

---

(١) راجع: أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٥٣.

(٢) أبو حيان ، البحر المحيط ٥/ ٤٨٠.

(٣) أبو حيان ، البحر المحيط ٥/ ٤٨٠.

مقتضية لذلك فاستدرك أن المتقين وإن أخذوا في التجارة لا يضرهم ذلك وأن لهم ما وعدوا به...»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ {١٩} لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ{٢٠}﴾ [الزمر: ١٩، ٢٠] يقول الألوسي: «وهنا استدراك بين ما يشبه النقيضين والضدين وهما المؤمنون والكافرون وأحوالهما»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا {١٦٥} لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا{١٦٦}﴾ [النساء: ١٦٥، ١٦٦].

يوضح الزمخشري العلاقة النصية الرابطة بين الجملتين من خلال معنى الاستدراك الذي أفادته استعمال (لكن) فيقول: «فإن قلت الاستدراك لابد له من مستدرك فما هو في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ﴾؟ قلت: لما سأل أهل الكتاب بإنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال: ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ﴾ بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد»[٣].

- علاقة التفصيل - الإجمال

علاقة دلالية تربط بين الجمل، حيث تدل الجملة السابقة على معنى تفصله الجملة اللاحقة، وقد عدها حازم القرطاجني نوعًا أو قسمًا من أقسام التفسير، فالتفسير عنده: تفسير إيضاح، وتفسير تعليل، وتفسير سبب، وتفسير غاية، وتفسير تضمن، وتفسير إجمال وتفصيل[٤]. وقد تطلق علاقة التفسير ويراد بها التفصيل. والعلاقة الذي يعنيها البحث - هنا- يعبر عنها باستعمال (الفاء) العاطفة الدالة على الترتيب الذكرى.

ومن نماذج علاقة التفصيل في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥].

---

(١) الألوسي ، روح المعاني ٤/ ١٧٢ دار إحياء التراث العربي. بيروت.

(٢) المصدر السابق ٢٣/ ٢٥٤.

(٣) الزمخشري: الكشاف ١/ ٥٨٣.

(٤) راجع: حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء صـ ٥٧.

قال أبو السعود معلقًا: «النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الإجمال»[١]. ويؤكد الألوسي ذلك قائلًا: «والعطف بالفاء لكون حق التفصيل يعقب الإجمال»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] تتضح هذه العلاقة، فما بعد (الفاء) تفصيل أو تفسير. قال صاحب الفتوحات الإلهية: «الفاء تفسيرية، مثل توضأ فغسل وجهه»[٣].

ويقول صاحب البحر المحيط موضحًا هذه العلاقة أثناء تعليقه على قول الله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]: «الفاء) تفسيرية، وذلك على رأى من أثبت (الفاء) هذا المعنى»[٤]. وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ....﴾ [الإسراء: ١٢].

يقول الجمل: «الفاء تفسيرية؛ لأنه المحور المذكور، وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقب جعل الليل والنهار آيتين، بل هي من جملة ذلك الجعل ومتمماته»[٥].

- (علاقة النتيجة) أو التَّرتُّب

علاقة دلالية تربط بين الجمل، بحيث تعبر الجملة الثانية عن معنى هو نتيجة للجملة الأولى، ومترتب عليه، أو أن الجملة الأولى تكون سببًا في وقوع الجملة الثانية.

ومن نماذج علاقة النتيجة أو الترتب في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ **فَلَعْنَةُ اللهِ** عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

فالجملة في قوله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ نتيجة لما قبلها مترتبة عليها. قال الجمل: (فلعنة الله) جملة من مبتدأ وخبر متسببة عما تقدم»[٦].

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا {١٠} **فَوَقَاهُمُ اللهُ** شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا{١١}﴾ [الإنسان: ١٠، ١١]. فالفاء في

---

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ٤/ ٢١٢.
(٢) الألوسي ، روح المعاني ١٢/ ٦٨.
(٣) الجمل ، الفتوحات الإلهية ١/ ٤٤.
(٤) أبو حيان ، البحر المحيط ٥/ ١٥٤.
(٥) الجمل ، الفتوحات الإلهية ٢/ ٦١٧.
(٦) المصدر السابق ١/ ٧٧.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ﴾ سببية، أي: فبسبب خوفهم وقاهم الله: أي دفع عنهم شر ذلك اليوم[١]؛ إذ ما بعد (الفاء) نتيجة مترتبة على ما قبلها.

كما تتضح علاقة النتيجة في قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى **فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾ [القصص: ١٥].

وفي قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ **فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ **فَلاَ** تَنسَى﴾ [الأعلى: ٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ {١٤٧} فَآمَنُوا **فَمَتَّعْنَاهُمْ** إِلَى حِينٍ{١٤٨}﴾ [الصافات: ١٤٧، ١٤٨]. حيث إن ما ورد بعد (الفاء) التي هي لمعنى السببية كان نتيجة مترتبة على ما قبلها[٢].

- (علاقة السببية) أو التعليل

وهي علاقة تربط بين الجمل عندما يكون مضمون الجملة الثانية سببًا في وقوع مضمون الجملة الأولى.

هذا، وقد تكون علاقة السببية أو التعليل هذه ناتجة عن أداة لغوية منبهةً عليها. ويقصد البحث بهذه الإداة «إن» الداخلة قيدًا على الجملة الاسمية[٣].

و«إذا كان المكون الدلالي لهذا العنصر (إن) - كما يقول أستاذنا الدكتور طه الجندي مستندًا في ذلك إلى ما ذكره الزركشي - هو توكيد مضمون الجملة وتقوية معناها، وتثبيتها في الذهن فإن التعليل- كما يذكر الزركشي - نوع من أنواع التوكيد[٤]، ومن ثم صح أن تتجه (إن) صوب التعليل؛ لأنه ليس بعيدًا عن مكونها الدلالي، مع ملاحظة أن أداءها لهذا المعنى ليس من باب النص الخالص فيه، وإنما هو من باب التنبيه عليه، والإشارة إليه»[٥].

---

(١) المصدر السابق ٤ / ٤٥٦ .

(٢) راجع: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٤/ ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٣) حول مفهوم القيد والتقييد انظر للمؤلف:د.أحمد عزت يونس،الجملة المقيدة في لغة القرآن .القاهرة.دار الآفاق العربية.ط١. ٢٠١٤م.

(٤)راجع: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٤/ ٢٩٩.

(٥) د. طه الجندي ، المكونات التركيبية والدلالية لظاهرة التعليل في العربية، مجلة كلية دار العلوم العدد (٢٧) صـ ٤٩، سنة ١٩٩٢.وقد بسط أستاذنا الضوابط الدلالية والتركيبية التي ينبغي توفرها في=

ومن أمثلة هذه العلاقة في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٥٣] فقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ جاء علة وسببًا لما قبله، وقد نبه على هذه العلاقة الأداة (إن).

كما تتضح - أيضًا - في قوله تعالى: ﴿**فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ**﴾ [التوبة: ٩٥] فقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ رِجْسٌ**﴾ علة وسبب الإعراض عنهم، وقد نبه على علاقة السببية أو التعليل هذه الأداة (إن) التي هي - هنا - علامة على هذه العلاقة ومنبهة عليها.

ومما يمثل- أيضًا - لهذه العلاقة قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾ [يوسف: ٥٣].

«ففي قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي**﴾ أورث للمخاطب حيرة كيف لا ينزه نفسه مع كونها مطمئنة زكية! فأزال حيرته بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ في جميع الأشخاص إلا المعصوم»[(١)].

ويوضح أستاذنا الدكتور طه الجندي: «أن في هذا التركيب نجد أن المخاطب قد عقد قلبه على إثبات العصمة للأنبياء، وطهارة نفوسهم، فجاءت الجملة الأولى لنفى ما وقر في قلبه، مما أوقفه في حيرة من أمره، فلزم الإتيان بالعنصر (إن) ليضفي معنى التوكيد المناسب لنفي ما أثبته في نفسه، وليربط بين الجملتين ويخرجهما في تركيب واحد يجعل **الثانية** منهما علة **للأولى**، ولا شك أن التعليل هنا مسوق في قالب من التوكيد، وتقوية الجملة التي يطلبها المخاطب ويتردد فيها ويسأل عنها»[(٢)].

ويمثل لهذه العلاقة - أيضًا - قوله تعالى:

﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾ [الكهف: ٥٧]

فجملة: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾ جاءت تعلل ما جاء قبلها.

=تركيبها حتى تضحى عنصرًا تعليليًا. راجع: صـ ٥٠، ٥١، ٥٣ من البحث المذكور.

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٠٦.

(٢) د. طه الجندي، المكونات التركيبية والدلالية لظاهرة التعليل في العربية صـ ٥٠ - ٥١.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧] جاءت جملة: ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ علة وسببًا للنهي في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

إلى غير ذلك من النماذج الدالة على هذه العلاقة في لغة القرآن الكريم وهي كثيرة جدًا.

- (علاقة التفسير) أو التوضيح

يعد التفسير علاقة دلالية تربط بين الجملتين المفسِّرة والمفسَّرة، حيث توضح الجملة اللاحقة الجملة السابقة، ويعبر عنها باستعمال أداة من اثنتين هما (أي) التفسيرية و(أن)[١].

ومن نماذجها في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٦].

يقول أبو السعود موضحًا العلاقة باستعمال(أن)في قوله تعالى: ﴿أَنْ آمِنُوا بِاللهِ﴾، «أن مفسرة لما في الإنزال من معنى القول والوحي»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨] يوضح صاحب الكشاف أن (أن) هنا المفسرة ؛ لأن الإحياء فيه معنى القول[٣].

كما تتضح علاقة التفسير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥]. إذ المعنى: أي أخرج ؛ لأن الإرسال فيه معنى القول[٤].

إلى غير ذلك من النماذج الدالة على هذه العلاقة في لغة النص القرآني.

هذا، والبحث يؤكد مكررًا أن ما يقدم من نماذج إنما هي على سبيل المثال لا الحصر.

وبعد.. ، فلعله من المهم - هنا - أن يؤكد البحث أن التماسك أو الترابط النصي من خلال الأدوات - التي هي - كما رأينا - علامات دالة على العلاقات النصية فضلًا عن المعاني الجامعة الرابطة بين المفاهيم الجزئية للجمل - ليس كل شيء أو قل إنه لا يشمل كل أنواع الروابط أو العلاقات المستنبطة من تلك الروابط على سطح النص، أو بما يمكن أن نطلق عليه نصًا؛

---

(١) راجع: ابن هشام ، مغني اللبيب ١/ ٤٦٠،٤٥٩.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٤/ ٩٠.

(٣) راجع: الزمخشري ، الكشاف ٢/ ٤١٧.

(٤) راجع السابق٢/ ٣٦٧.

وذلك يعني أن هناك علاقات نصية أخرى مستنبطة من روابط لفظية أو وسائل لغوية هي علامات دالة ـ أيضا ـ على هذه العلاقات الرابطة بين أجزاء النص ووحداته. والعلاقات الأخرى القاصد إليها البحث هي ما أطلق عليها بالعلاقات البنيوية، وهي موضع حديث البحث - إن شاء الله تعالى - فيما يلي:

ثانيًا - العلاقات اللفظية البنيوية:

استقر لدى البحث أن العلاقات النصية القائمة على الألفاظ أو العلامات اللغوية الدالة على أنواع هذه العلاقات وماهياتها، إما أن تكون مستنبطة من خلال استعمال الأدوات النحوية وما تحمله من معانٍ سياقية. وهذا النوع من العلاقات اللفظية هو ما عرف - كما تبين من قبل - بالعلاقات الأداتية. وإما أن تكون مستنبطة من طريق آخر- غير الأدوات الرابطة بين مفاهيم الجمل- قائم هو - أيضًا - على الألفاظ أو البنيات المكونة لسطح النص. وهذا النوع الآخر من العلاقات اللفظية هو ما عرف بالعلاقات البنيوية نسبة إلى الظواهر الأسلوبية التي تعترى سطح النص.

وهذه العلاقات اللفظية البنيوية هي المستنبطة - كما يوضح أستاذنا الدكتور محمد حماسة - من «الإشارات المتشابهة في الجمل، أو الوظائف النحوية المتكررة بينها، أو الرموز اللغوية التي تتردد بين جملة وأخرى، سواء أكانت هذه الرموز ممثلة في كلمة بينها، أو صيغة خاصة، أو حالة معينة تلابس هذه الجمل وتشيع في جوها، أو يحدث بينها تخالف يذكر بعضه بنقيضه الموجود في جملة سابقة أو لاحقة»[(١)].

إلى غير ذلك كالمرجعية السابقة بالإحالة من خلال الروابط أو العناصر الإحالية المشيرة إلى عناصر إفرادية أو غير إفرادية مكونةً لبنية النص، أو الحذف الرابط بهذه المرجعية - سابقة كانت أو لاحقة - بين بنيات الوحدات النصية. والعلاقات اللفظية البنيوية المعني بها البحث - هنا - تنقسم إلى أنواع ثلاثة:

أولا: علاقة الإحالة

ثانيا: علاقة التكرار

ثالثا:علاقة الحذف

---

(١) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر صـ ٤٥.

وهذه العلاقات الثلاثة هي تقريبًا ما انتهى إليه الباحثون ، وهي علاقات يتحقق من خلالها التماسك أو الترابط اللفظي لوحدات النص وأجزائه[١]. وفيما يأتي - إن شاء الله تعالى- بيان لهذه العلاقات مشفوعة بنماذج وأمثلة تبين دورها في تماسك وترابط لغة النص القرآني.

أولا: علاقة الإحالة

من العلاقات النصية ذات الترابط اللفظي علاقة الإحالة. وهي من أهم وسائل السبك Cohesion، وهي من المعايير المهمة التي تسهم بشكل فعال في الكفاءة النصية، كما أنها تعد من أهم الوسائل المتعددة والمتنوعة لسبك العبارات لفظيًا، دون إهدار لترابط وتماسك المعلومات الكامنة تحتها. والمقصود بالكفاءة Textual Eficiency- كما يقول روبرت دي بوجراند -: «هي صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل»[٢].

ومن المزايا المهمة لهذه العلاقة أنها قادرة على صناعة جسور كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة، والربط بينها ربطًا واضحًا. وهذا ما يؤكد أهميتها في الربط النصي.

وإذا كانت علاقة الإحالة مرتبطة بالنص وكلماته من حيث الترابط اللفظي ، فإننا ينبغي ألا نغفل أن تكون – أيضًا - من قبيل الترابط الدلالي، فهو الهدف والغاية؛ فقد أشار الدكتور تمام حسان في مقدمته لكتاب روبرت دي بوجراند إلى أن الإحالة فضلًا على أنها من وسائل السبك، فإنها تؤدي - أيضًا - إلى الالتحام النصي من الناحية الدلالية[٣].

ولا شك أن الإحالة مصطلح قديم[٤]، لكنه بمفهوم استخدامه كعلاقة نصية، فهو

---

(١) انظر في ذلك - على سبيل المثال - د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري صـ ١٥٧، ود. محمد خطابي لسانيات النص صـ ١٦ - ٢٥. د. إلهام أبو غزالة، وعلى خليل: مدخل إلى علم لغة النص صـ ٨١، والأزهر الزناد، نسيج النص صـ ٢٥ - ٧٣ - ١١٤.

(٢) روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء صـ ٢٩٩.

(٣) د. تمام حسان، مقدمة كتاب روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء صـ ٣٠.

(٤) راجع د. تامر عبد الحميد محي الدين أنيس، الإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية صـ ٤ - ٨ .

جديد من هذه الزاوية، ولهذا لم يتفق على تعريف نهائي له.

فمن تعريفاتها - كما يشير روبرت دي بوجراند - قائلًا: «يتم تعريف الإحالة عادة بأنها العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات»(١).

ويعرفها جون لاينز على ما أشار إليه براون ويول في كتابهما، حيث قالا: «يقول جون لاينز في سياق حديثه عن المفهوم الدلالي التقليدي للإحالة: إن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة: فالأسماء تحيل إلى المسميات»(٢).

ويعرفها الدكتور أحمد مصطفي عفيفي قائلًا: «إن الإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام»(٣).

والإحالة في علم اللغة النصي هي وسيلة من وسائل الاتساق - كما أشار البحث- تترابط بها أجزاء النص وتتماسك، فهي تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النص الواحد، وذلك من خلال «قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من النص، فشرط وجودها هو النص. وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر؛ وهي لذلك تتميز بالإحالة على المدى البعيد (Cross - Reference)(٤).

وتنقسم الإحالة إلى: إحالة خارجية Exophora ، وفيها يحيل عنصر في النص إلى شيء خارج النص موجود في المقام الخارجي، وأخرى داخلية Endophora، فتقع

دكتوراه مخطوطة برقم ١٩٣٨، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(١) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء صـ ١٧٢.

(٢) براون ويول، تحليل الخطاب صـ ٣٦.

(٣) د. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص دراسة في الدلالة والوظيفة. العربية بين الجملة ونحو النص، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية ٢/ ٥٢٧ كلية دار العلوم- جامعة القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٤) الأزهر الزناد، نسيج النص صـ ١١٨.

داخل النص، وهي ما يطلق عليها بالإحالة النصية[١]. وهذا النوع هو المعني - هنا - به البحث.

ومن ثم فإن ثمة اختلافًا بين الإحالة في النوع الأول والنوع الثاني، فالإحالة في النوع الأول، تكون بين عنصر إحالي لغوي و عنصر إشاري غير لغوي (مقام)

عنصر إحالي (لغوي) ←——— عنصر إشاري غير لغوي (مقام) مفسِّر.

أما النوع الثاني ، فإن الإحالة تكون بين عنصر إحالي لغوي و عنصر إشاري لغوي داخل النص الموجود .

عنصر إحالي (لغوي) ←——— عنصر إشاري لغوي (مفسِّر).

وبالتالي فإن بنية التكوين في النوعين مختلفة، وأحسب أن الإحالة في النوع الثاني أسهل منالاً منها في النوع الأول؛ إذ في النوع الثاني تكون كافة العناصر موجودة، وكلها لغوية، فتكون من السهولة بمكان التوصل إلى العنصر المشار إليه، أما النوع الأول فأظن أنه أصعب منالاً من الثاني، إذ إن إحالته ليست إلى عناصر لغوية داخل النص، وإنما إلى شيء خارج النص، ومن ثم يحتاج إلى استخلاص هذا الشيء الخارجي بناء على الحصيلة الثقافية أو المعرفية المزود بها هذا الشخص، وبالتالي فهي تختلف من شخص إلى آخر، أي أن القياس فيها نسبي، بناء على مدى الكم الثقافي أو المعرفي المزود بها هذا الشخص أو ذاك.

على كل حال فإن الإحالة الداخلية أو النصية تقوم بنيتها على مجموعتين أساسيتين من العناصر؛ المجموعة الأولى تسمى العناصر الإشارية، والمجموعة الثانية تسمى العناصر الإحالية، والمجموعتان كلتاهما تمثلان طرفي العلاقة، وبينهما - لاشك - ترابط وثيق، ومن هنا يأتي دورالإحالة كعلاقة نصية، حيث الإسهام الفعال في تماسك وترابط مكونات النص.

هذا، والعناصر الإشارية تشمل كل ما يشير إلى ذات، أو موقع، أو زمن، إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة، فالعنصر الإشاري يمثل معلمًا لذاته، لا

---

(١) راجع: السابق صـ ١١٨ وما بعدها .

يقوم فهمه أو إدراكه على غيره[١].

أما العناصر الإحالية فتطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى في الخطاب أو النص، وهذه العناصر لابد لها من الارتباط بعنصر إشاري يفسرها . وهذه العناصر الإحالية يكون غالبها من الضمائر؛ إذ هي بأنواعها الثلاثة: (ضمائر الأشخاص، وضمائر الإشارة، والضمائر الموصولة) من أهم ما يغني عن إعادة ذكر العنصر الإشاري، إذ يتعزر أن يعاد ذكره في كل مرة يحتاج فيها إلى ذكره، أو التذكير به، وهنا تقوم هذه الضمائر بوظيفة الربط بين وحدات النص وأجزائه[٢].

وتنقسم الإحالة الداخلية أو النصية من حيث الاتجاه إلى قسمين[٣]:

أولهما: إحالة قبلية، أي إحالة على السابق (إلى الوراء).

والثاني: إحالة بعدية، أي إحالة على اللاحق (إلى الأمام).

والإحالة في النوع الأول «تقتضي العودة إلى الوراء لتحديد مرجع الإحالة، حيث ذكر المحال إليه، وفي هذا نوع من الربط القبلي بين أجزاء النص. أما في الإحالة البعدية، وهي إحالة على لاحق لم يذكر بعد، فإنما هي مثيرة لذهن المتلقي؛ حيث يوجد لفظ كنائي، ولم يسبق مرجعه والمفترض أن يظل المتلقي يقظًا باحثًا عن مرجع الضمير»[٤].

وتنقسم الإحالة النصية - أيضًا - من حيث العنصر المفسر إلى نوعين[٥]:

الأول منهما: إحالة نصية معجمية تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر دال على ذات أو مفهوم مفرد.

والثاني: إحالة مقطعية تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر هو مقطع من ملفوظ (جملة، أو نص، أو مركب نحوي). وهذا النوع هو ما أطلق عليه الدكتور محمد

---

(١) الأزهر الزناد ، نسيج النص صـ ١١٥وما بعدها .

(٢) الأزهر الزناد، نسيج النص صـ ١١٧ - ١١٨- ١١٩.

(٣) د. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة ٢/ ٥٤٣.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٥٤٤.

(٥) راجع: الأزهر الزناد ، نسيج النص صـ ١١٩.

خطابي بـ(الإحالة الموسعة) [١]

كما تنقسم الإحالة النصية - أيضًا - من حيث المدي الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسره (العنصر الإشاري) إلى نوعين[٢]:

أولهما: «إحالة ذات مدى قريب»: وتجري في مستوى الجملة الواحدة، حيث لا توجد فواصل تركيبية جملية.

والثاني: «إحالة ذات مدى بعيد»: وهي تجري بين الجمل الأصلية المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص، وهي تتجاوز الفواصل والحدود التركيبية بين الجمل، وهذا النوع هو المعني به البحث في هذه الدراسة.

وتختلف الروابط الإحالية من حيث مداها ومجالها، فبعضها يقف عند حدود الجملة الواحدة، يرابط عناصرها الواحد منها بالآخر، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النص، فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي، ولكن الواحد منها متصل بما يناسبه أشد الاتصال من حيث الدلالة والمعنى[٣].

هذا، ويبقي على البحث في الصفحات التالية - إن شاء الله تعالى - أن يقدم نماذج وأمثلة توضح مدى دور هذه العلاقة في تماسك وترابط وحدات النص القرآني.

الإحالة بالضمائر الشخصية

في البداية - قبل عرض النماذج والأمثلة الدالة على علاقة الإحالة وأثرها - تنبغي الإشارة إلى أن «الضمائر كلها لا تخلو من إبهام وغموض، سواء أكانت للمتكلم، أم للمخاطب، أم للغائب، فلابد لها من شيء يزيل إبهامها، ويفسر غموضها. فأما المتكلم والمخاطب فيفسرها وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم عن نفسه، أو حاضر يكلمه غيره مباشرة. وأما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ لأنه غير حاضر ولا مشاهد،

---

(١) راجع: د. محمد الخطابي، لسانيات النص صـ ١٩.

(٢) راجع: الأزهر الزناد، نسيج النص صـ ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) راجع: د. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة صـ ١٣٣ - ١٣٤، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

فلابد لهذا الضمير من شيء يفسره، ويوضع المراد منه»[(١)].

ثمة نماذج وأمثلة كثيرة في لغة القرآن الكريم تدل على هذه العلاقة ولتكن سورة الفاتحة النموذج الأول الذي من خلاله تتضح هذه العلاقة ودورها في تماسك وترابط وحداتها.

من الملاحظ أن هذه السورة الكريمة بإيجاز قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن الكريم. فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، يؤخذ من قوله تعالى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: «الله» ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله وإثبات صفات الكمال له، وقد دل على ذلك لفظ ﴿الْحَمْدُ﴾ [الفاتحة: ٢][(٢)].

إذن فالربوبية والألوهية لله، وملك يوم الدين له سبحانه، والاستعانة به، والعبادة له، والهداية والضلال بيده سبحانه، ومن ثم فهو المستحق للعبادة.

فالله سبحانه هو المسند إليه هذه الأمور كلها؛ لذا وجدنا الضمائر الظاهرة والمستترة على النحو التالي: «الرحمن (هو) - الرحيم (هو) - مالك (هو) - إياك... (الكاف) - إياك.... (ك) - اهدنا... (أنت) أنعمت... (التاء)». وكلها تعود إلى لفظ الجلالة (الله) المذكور في مطلع السورة، فهي إذن مرجعية سابقة.

فهذه السورة المباركة- كما بين البحث- تناقش متطلبات ثلاثة، منها: الألوهية والعبودية، ومن ثم فدلالتها متماسكة، ويخدم هذا التماسك الدلالي ويتكاتف معه التماسك اللفظي، تمثل في صور هذه الضمائر.

وإذا كانت علاقة الإسناد في النحو العربي قد جعلت من الجملة الوحدة الكبرى التي تحتوى المسند والمسند إليه، فإننا- هنا - نوسع دائرة الإسناد لتشمل وحدات النص كله.

فالمسند إليه في هذه الصورة هو (الله) تعالى، والمسند – هنا - متعدد - كما أوضح البحث - «الألوهية، والربوبية، وملك يوم الدين، يوم البعث والجزاء، والعبودية والاستعانة، وحق الهداية والضلال».

---

(١) أ. عباس حسن ، النحو الوافي ١/ ٢٥٥. دار المعارف - القاهرة ط: ٧.

(٢) انظر: عبد الرحمن السعدي، تفسير السعدي صـ ١٨ مكتبة الإيمان ، المنصورة.

وكما أن علاقة الإسناد تحكم قضية التماسك الجملي فإنها - كذلك - تحكم قضية التماسك النصي.

وهكذا تبين لنا دور هذه العلاقة (علاقة الإحالة) في تماسك وترابط وحدات نص السورة الكريمة المكونة، من خمس جمل أساسية، وذلك من خلال نوعين من الضمائر الشخصية:

المخاطب والنائب، وكلاهما - وهما العناصر الإحالية - يعدان طرفًا من طرفي علاقة كان لفظ الجلالة (الله) - وهو العنصر الإشاري المفسَّر - طرفها الآخر.

ونموذج آخر من النماذج الدالة على هذه العلاقة سورة القصص، وهذه السورة تشتمل على قصتين «قصة موسي، وقصة قارون»، بعد كل منهما تعقيب. وفي مطلع السورة توجد تقدمة قصيرة تتحدث عن الكتاب المبين، وعن تنويه الله تعالى عن تلاوة أنباء موسى مع فرعون. وهنا تبدأ قصتهما معا، وهما العنصران الأساسيان في القصة، وبناء عليهما تتحدد مرجعية الضمائر.

فموسى وهو العنصر الإشاري الأول في هذه القصة نجد الضمائر التي تحيل إليه عليه ﷺ تأتي بعد ذكر اسمه صراحة في أول النص، على النحو التالي: «أرضعيه - عليه، فألقيه - رادوه، وجاعلوه - فالتقطه، ليكون (هو) قرت عين لي ولك - لا تقتلوه، ينفعنا (هو)، تتخذه - به - قصيه - به - عليه- يكفلونه - فرددناه، أمه- بلغ (هو)، أشده، استوى (هو)، أتيناه - دخل (هو) - فوجد (هو)، شيعته، عدوه - فاستغاثه، شيعته، عدوه - فقضى (هو) - قال (هو) - قال، ربي، إني، ظلمت، نفسي، لي، له - قال (هو)، رب (ي)، عليّ، أكون (أنا) - فأصبح (هو)، خائفا (هو)، يترقب(هو) - استنصره، يستصرخه - أراد، ببطش، أتريد أنت، تقتلني (أنت)، قتلت - تريد (أنت)، تكون (أنت) - تريد (أنت)، تكون (أنت) - بك، ليقتلوك، فاخرج (أنت)، لك - فخرج (هو)، خائفًا (هو)، ربي، يهديني - ورد (هو)، وجد (هو)، ووجد (هو)، قال (هو) - فسقى (هو)، تولى (هو)، فقال (هو)، رب (ي)، إني، إلى - فجاءته - يدعوك، ليجزيك، سقيت - جاءه (هو)، قص (هو) - لا تخف (أنت)- نجوت - استئجره، استأجرت - أنكحك، تأجرني (أنت) - أتممت، عندك - عليك، ستجدني (أنت) - قال (هو)، بيني-

قضيت، على - سار (هو)، بأهله، آنس (هو) - قال (هو)، لأهله، إني آنست، لعلي آتيكم - آتاها (هو)، نودى (هو)،ألق (أنت)، عصاك - رآها (هو)، ولى (هو)، مدبرًا (هو)، يعص (هو) - أقبل (أنت)، لا تخف (أنت)، إنك - اسلك (أنت)، (يدك)، جيبك، اضمم (أنت)، وإليك، جناحك - فذانك، ربك....» إلى آخر الآيات المعبرة عن قصته عليه السلام.

وهذه الضمائر تحيل كلها إلى لفظ «موسى» عليه السلام المذكور في مطلع السورة، وهو - كما هو واضح - يمثل المرجوع الأول في السورة، والمرجعية - هنا - مرجعية سابقة، تربط بين آيات القصة كلها ربطًا لفظيًا ودلاليا في آن واحد، ذلك مع تضافر الوسائل الأخرى التي تحقق التماسك النص.

أما العنصر الإشاري الثاني في هذه القصة، فهو فرعون، وهو العدو الأول لدعوة نبي الله تعالى (موسى) عليه السلام، وعليه كانت الضمائر التي تحيل إليه، بعد ذكره صراحة في الآية الثالثة كما ذُكِرَ نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى:﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣].

وتتشكل هذه الضمائر المحلية إلى عدو الله تعالى (فرعون) كما في: «علا (هو)، جعل (هو) - يستضعف (هو)- يذبح (هو) - يستحيي (هو) - إنه، كان (هو). ويلاحظ أنها كلها في آية واحدة، وذلك بعد ذكره صراحة في موضعين في الآيتين الثالثة والرابعة، ولا شك أن هذا قد أسهم في تحقيق التماسك والترابط في هاتين الآيتين. بل يتعدي الأمر هاتين الآيتين إلى ما ورد من آيات في مثل: «يا أيها الملأ -ما علمت، غيري - لي - لي، لعلي، وإني لأظنه - واستكبر (هو)، جنوده- فأخذناه، وجنوده».

وثمة عنصر إشاري ثالث في هذه القصة «أم موسى» في الآيات من السابعة إلى الثالثة عشرة؛ حيث ذكر صراحة في أول الآية السابقة:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ [القصص: ٧]، ثم تتوالي الضمائر في هذه الآية وتحيل إليها: «أرضعيه - خفت، ألقيه (أنت)، ولا تخافي (أنت)، ولا تحزني (أنت)- إليك - كادت (هي)، لتبدي (هي)، قلبها، لتكون (هي) - قالت (هي) - عينها، ولا تحزن (هي)، ولتعلم (هي)».

وهكذا تترابط آيات النص وجمله من خلال الإحالة إلى ما سبق، إذ المرجعية في العناصر الإشارية الثلاثة «موسى - فرعون- أم موسى» مرجعية سابقة.

هذا عن قصة موسى مع فرعون أما قصة قارون وبغيه على قومه بما أتاه الله تعالى من سلطان، فإن الضمائر المحيلة إليه تتحرك صوب اسمه الوارد في أول القصة على النحو التالي:

«كان (هو)، فبغي (هو) - واتيناه، له، قومه، لا تفرح (أنت) - ابتغ (أنت)، أتاك - لا تنس (أنت)، نصيبك - أحسن (أنت)، إليك - لا تبغ (أنت) - قال (هو)، أوتيته، عندي - يعلم (هو)، قبله، منه - فخرج (هو)، قومه، زينته- إنه - به، وبداره - له، ينصرونه - كان (هو) - مكانه». كل هذه الضمائر ترجع إلى محال إليه واحد مذكور في مطلع نص القصة. ومن الواضح أن آيات وجمل هذه القصة قد تماسكت وترابطت من خلال المرجعية السابقة.

وفي سورة الجن نموذج - أيضًا - على هذه العلاقة. ففي البداية يوضح البحث أن هذه السورة تعالج قضية التوحيد، لكنها تعالجها من منظور آخر، فالتوحيد هنا لم يكن على لسان البشر، بل كان باعتار من الجن أنفسهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ **فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا** قُرْآنًا عَجَبًا {١} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ **فَآمَنَّا** بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ **بِرَبِّنَا** أَحَدًا{٢}﴾ [الجن: ١، ٢].

ثم تأتي الآيات والجمل متسابقة في إظهار كلام الجن، ومبررات إيمانهم، ومن ثم تكررت (إنا - أنا)، و(نا) المتصلة بالأسماء والأفعال والحروف، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا {٣} وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ **سَفِيهُنَا** عَلَى اللهِ شَطَطًا {٤} **وَأَنَّا ظَنَنَّا** أَن لَّن تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا{٥}﴾ [الجن: ٣ - ٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا **لَمَسْنَا** السَّمَاءَ **فَوَجَدْنَاهَا** مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا {٨} **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ** مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ{٩}﴾ [الجن: ٨، ٩].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّا لاَ نَدْرِي** أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا {١٠} **وَأَنَّا مِنَّا** الصَّالِحُونَ **وَمِنَّا** دُونَ ذَلِكَ **كُنَّا** طَرَائِقَ قِدَدًا {١١} **وَأَنَّا ظَنَنَّا** أَن لَّن **نُّعْجِزَ** اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَن **نُّعْجِزَهُ** هَرَبًا {١٢} **وَأَنَّا** لَمَّا **سَمِعْنَا** الْهُدَى **آمَنَّا** بِهِ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ

بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا {١٣} وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ{١٤}﴾ [الجن: ١٠ - ١٤].

وهكذا تتماسك وتترابط الآيات والجمل من خلال مرجعية الضمائر، وهي - كما هو واضح - مرجعية سابقة.

وفي سورة الضحى - أيضًا - نتبين دور هذه العلاقة في تماسك وترابط وحدات السورة الكريمة.

فمن المعروف أن هذه السورة الكريمة نزلت بعد ما شاع في مكة أن رب محمد ﷺ قد قلاه وأن الوحي لن ينزل عليه، فنزلت السورة تسرية له ﷺ، وتدفع عنه الحزن والسأم والضيق، كما أنها تذكره بنعمته تعالى عليه[1].

ومن ثم جاءت آيات وجمل السورة كلها بعد آيتي القسم متوجهة إلى النبي المصطفي ﷺ على النحو التالي:

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى {٣} وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى {٤} وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى {٥} أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى {٦} وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى {٧} وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى {٨} فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ {٩} وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ {١٠} وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ{١١}﴾ [الضحى: ٣ - ١١].

فهذه الضمائر الموزعة على الآيات التسعة ترجع كلها إلى الحبيب المصطفي ﷺ. وهذه المرجعية - لاشك - تؤكد التماسك والترابط الذي جاءت عليه الآيات ، حيث وحدة الموضوع، وهو التسلية له، وتذكيره بالآء الله الكثيرة عليه، وما يجب عليه ليس الحزن على ما يقال له من الكافرين، وإنما أن يأتمر بما أمر الله تعالى به.

وواضع من الآيات أن الرسول ﷺ لم يجر له ذكر صريح فيها. وبناء عليه فمرجعية الضمائر كلها مرجعية خارجية، اعتمد في معرفة مرجعيتها على السياقين اللغوى والاجتماعي.

الإحالة بضمير الإشارة

تحدث البحث فيما سبق عن الإحالة بالضمائر الشخصية باعتبارها رابطًا من

---

(١) انظر: سيد قطب ، في ظلال القرآن ٦/ ٣٩٢٥.

الروابط المهمة التي تعمل عل مد «جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في قضاء النص»[١].

وثمة نمط آخر من الإحالة مسئول عنه ضمير الإشارة، وفي هذا النمط الإحالي يشير ضمير الإشارة فيها إلى مضمون ما تقدم من قول أو حدث، فيكون الضمير تلخيصًا أو تكثيفًا لهذا القول وذلك الحدث تجنبا للإطناب والإطالة بإعادة القول فيه[٢].

إن القارئ في لغة القرآن الكريم ليجد الأمثلة الكثيرة التي تدل على الربط والوصل بالإشارة. وهذه الأمثلة من الكثرة بحيث نستطيع أن نقول: «إنه يشيع استخدام أسماء الإشارة في الأسلوب القرآني استخدام الروابط التي تؤدي وظيفة كبرى جوهرية ، هي تلاحم أجزاء النص وتماسكه»[٣].

ولنرَ فيما يلي- من نماذج وأمثلة - كيف يمكن أن تؤدي الإحالة بالضمائر الإشارية هذه الوظيفة الجوهرية الكبرى المتمثلة في العمل على تلاحم أجزاء النص وتماسكه.

ومن نماذجها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ {٧٢} فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {٧٣} ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ .....﴾ [البقرة: ٧٢ - ٧٤].

فقوله تعالى (ذلك) إشارة أو إحالة «إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة»[٤] - كما يقول صاحب الكشاف - التي ذكرت في قوله تعالى:

- ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ [الآية: ٤٩]. إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الآية: ٤٩].

- وقوله ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ [الآية: ٥٠]. إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [الآية: ٥٠].

---

(١) د. سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية صـ ٨٢.

(٢) راجع د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن ٢/ ٥٣٧.

(٣) د. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية صـ ١٤٠.

(٤) الزمخشري، الكشاف ١/ ٢٩٠.

- وقوله: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى﴾ [الآية: ٥١]. إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية ٥١، ٥٢].

- وقوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: ٥٣].

- وقوله ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [الآية: ٥٤]. إلى قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية ٥٤].

- وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ [الآية: ٥٥]. إلى قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: ٥٧].

- وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [الآية: ٥٨] إلى قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: ٥٩].

- وقوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [الآية: ٦٠] إلى قوله ﴿وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية: ٦٠].

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [الآية: ٦١] إلى قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [الآية: ٦١].

- وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [الآية: ٦٣] إلى قوله: ﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية: ٦٤].

- وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [الآية: ٦٥] إلى قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: ٦٦].

- وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ [الآية: ٦٧] إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية ٧٣].

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران: ١٤].

فقوله تعالى: «ذلك» إشارة إلى السابق المتمثل في صور المتاع (حب الشهوات، في النساء، والبنين، والذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث).

وقوله تعالى: ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ **ذَلِكَ** فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فقوله تعالى: «ذلك» إحالة إلى السابق المتمثل في النهي عن اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء من دون الله:

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣١].

فـ(ذلك) الأولى إحالة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠]. والثانية إحالة إلى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {١٣٨} إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ{١٣٩}﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٣٩].

فقوله: (هؤلاء) إحالة إلى ما سبق المتمثل في القوم الذين كانوا يعكفون على أصنام لهم.

وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {١٥} إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى {١٦} اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {١٧} فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى {١٨} وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى {١٩} فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى {٢٠} فَكَذَّبَ وَعَصَى {٢١} ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى {٢٢} فَحَشَرَ فَنَادَى {٢٣} فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى {٢٤} فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى {٢٥} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [النازعات: ١٥ - ٢٦].

فقوله تعالى: (ذلك) جاء إحالة إلى كل ما قصه الله ﷻ من أمر موسى وفرعون.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

فقوله (هذا) إحالة إلى سابق، وهو المتمثل في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

فقوله تعالى: «هذا» جاء إحالة إلى كل ما سبق من نعمٍ أنعمها الله تعالى على نبيه

عيسى ابن مريم عليه السلام.

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى {١} الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى {٢} وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى {٣} وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى {٤} فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى {٥} سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى {٦} إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى {٧} وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى {٨} فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى {٩} سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى {١٠} وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى {١١} الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى {١٢} ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا {١٣} قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى {١٤} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى {١٥} بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {١٦} وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {١٧} إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى {١٨} صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى{١٩}﴾ [الأعلى: ١ - ١٩].

فقوله تعالى: «هذا» إشارة أو إحالة إلى قوله: (قَدْ أَفْلَحَ): يعني أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف. وقيل إلى ما في السورة كلها[(١)].

هذا، ويستخدم ضمير الإشارة (هذا) على سطح النص لربط مقاطع الكلام، والانتقال من موضوع لآخر[(٢)]، كما في قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ {٤٥} إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ {٤٦} وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ {٤٧} وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ {٤٨} هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ {٤٩} جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ {٥٠} مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ {٥١} وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ {٥٢} هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ {٥٣} إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ {٥٤} هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ{٥٥}﴾ [ص: ٤٥: ٥٥].

فقد جاء ضمير الإشارة (هذا) للإحالة إلى ما سبق، وللتهيئة، حيث الانتقال من موضوع إلى آخر، فبعد ذكر الأنبياء عليهم السلام أريد الانتقال إلى الحديث عن الجنة وحال أهلها، ثم أريد الانتقال إلى أهل النار فكان ضمير الإشارة (هذا) - هنا - مفتاحًا ظاهريًا لتقسيم هذه الآيات تقسيمًا دلاليًا.

قال ابن عاشور: «(هذا ذكر) جملة فصلت الكلام السابق من الكلام الآتي بعدها؛

---

(١) انظر الزمخشري، الكشاف ٤/ ٢٤٥.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٧٨.

قصدًا لانتقال الكلام من غرض إلى آخر.. ومثله اسم الإشارة المجرد نحو: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[١].

ومنه - أيضًا - ما في سورة الحج قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ﴾ [الحج: ٦٠].

فقوله: (ذلك) ضمير إشارة في الآيات الثلاثة يحيل إلى ما سبق ذكره من أخبار. ومن ثم قام بدور فاعل في تماسك وترابط وحدات النص في السورة الكريمة، وزيادة على أنه جاء لربط مقاطع الكلام فقد جاء - أيضًا - ليهييء، الانتقال إلى موضوع جديد.

قال صاحب الكشاف: «(ذلك)... أي: الأمر والشأن ذلك، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا، وقد كان كذا»[٢].

ومن نماذج علاقة الإحالة بضمير الإشارة – أيضًا – ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {١٣٣} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {١٣٤} وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ {١٣٥} أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ{١٣٦}﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

فقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ إحالة إلى ما سبق ذكره، أي: المتقين وما كان من صفاتهم.

ومثله - أيضًا - قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ {٢} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ {٣} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ {٤} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {٥} إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٣/ ٢٨٠.

(٢) الزمخشري ، الكشاف ٣/ ١١.

مَلُومِينَ {٦} فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٧} وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٨} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٩} **أُولَئِكَ** هُمُ الْوَارِثُونَ {١٠} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{١١}﴾ [المؤمنون: ١- ١١] . فقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ ضمير الإشارة ورد مرتين في **الأولى**: أحال إلى الذين يتبعون غير ما أحله الله تعالى، و**الثانية**: أحال إلى الذين آمنوا وجاءت صفاتهم تؤيد هذا الإيمان.

ومن النماذج الدالة - أيضًا - على علاقة الإحالة بضمير الإشارة قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]. فقوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ ضمير الإشارة جاء محيلًا إلى ما أحلَه الله تعالى وما حرم.

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة الدالة على هذه العلاقة، التي من خلالها يتماسك النص القرآني ويترابط في الوحدات والأجزاء.

ثانيا: علاقة التكرار

من العلاقات النصية ذات الترابط اللفظي علاقة التكرار. ولا تتحقق علاقة التكرار على مستوى واحد؛ بل على مستويات متعددة، مثل تكرار الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، والقصص، أو المواقف كما هو واقع في لغة النص القرآني.

والتكرار نوع من أساليب الفصاحة، « وقد غلطَ ـ كما يقول الزركشي ـ من أنكر كونه من أساليبها؛ ظنًا واعتقادًا أنه لا فائدة له؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدًا، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاة عليه، حيث تقصد له الدعاء[1].

(١) انظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٣/ ٩.

والحق إن للتكرار فوائد أخرى جليلة تأتي مع كونه علاقة نصية تربط بين وحدات النص وأجزائه، وقد أدرك علماء العربية ذلك، وذكروا - موضحين- أن من فوائده (التقرير)، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر، وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرر الأقاصص والأخبار في القرآن، فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١]، وقال: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣][(١)].

ومن فوائده - أيضًا - (زيادة التنبية على ما ينفي التهمة)؛ ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ {٣٨} يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ{٣٩}﴾ [غافر: ٣٨، ٣٩].

فإنه كرر فيه النداء لذلك ويعلق صاحب الكشاف قائلاً: «فإن قلت لم كرر نداء قومه... قلت: أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة، وفيه أنهم قومه وعشيرته، وهم فيما يوبقهم، وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليهم واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه، فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه «يا أبت»[(٢)].

ومن الفوائد - أيضًا - أنه (**إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانية تطرية له، وتجديدًا لعهده**) كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ**﴾ [البقرة: ٨٩]، ثم قال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾ [االبقرة: ٨٩]، فهذا تكرار للأول، ألا ترى أن ﴿**وَلَمَّا**﴾ لا تجيئ بالفاء[(٣)].

وقد كان الطعن في أسلوب التكرار في لغة القرآن الكريم من أبرز الأفكار التي عني الباحثون في إعجاز القرآن الكريم بالرد عليها؛ فابن قتيبة يعقد بابا لتكرار الكلام والزيادة فيه للرد على الطاعنين الذين تكلموا في تكرار الكلم في قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، وفي سورة الرحمن، وفي تكرار الأنباء والقصص من غير زيادة ولا إفادة»[(٤)].

هذا، وكما كان التكرار موضع اهتمام عند علماء العربية - وبخاصة علماء البلاغة -

---

(١) انظر: المصدر السابق ٣/ ١٠.

(٢) الزمخشري ، الكشاف ٣/ ٤٢٩.

(٣) انظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٤.

(٤) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن صـ ٣٢. تحقيق السيد أحمد صقر دار التراث. القاهرة. بدون.

فإنه - كذلك - موضع اهتمام علماء النصية. إلا أن هناك مفارقات بين البلاغيين العرب وعلماء النصية في معالجة ظاهرة (التكرار) أجملها الدكتور جميل عبد المجيد في كتابه (البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية)[١] وأهمها.

وأهم هذه المفارقات - كما يرى البحث- **أولا**: أن البلاغيين العرب عالجوا هذه الظاهرة من منظور بلاغي صرف، ومن ثم كان التركيز على الكلام الأدبي والشعري خاصة، وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي. على حين عولجت هذه الظاهرة عند علماء النصية من منظور لساني صرف؛ ومن ثم شملت النصوص بمختلف أنواعها، على أن منهم من حاول كشف نحو النص الأدبي، وخاصة الشعرى، مثل: فان دايك[٢].

ثانيًا: لم تقتصر هذه المعالجة عند علماء لغة النص على مستوى الجمل بل تجاوز هذا المستوى إلى الجمل والفقرة والنص بتمامه. على حين ركزت المعالجة عند البلاغيين العرب أكثر ما ركزت - وخاصة في مرحلة التقعيد - على الجملة أو البيت، وإن جاءت عندهم - أحيانًا - شواهد تجاوزت هذه المستوى[٣].

هذا، والتكرار - كما يقول الرضي - هو: «ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير»[٤]. وفي قول الرضي بيان لوظيفة التكرار، وهي الضم، والضم يعني ربط الشيء بما ضم إليه، وفي هذا الربط يتحقق التماسك بينهما. كما يعرفه ابن القيم مبينًا أنواعه وفوائده، فيقول: «التكرار هو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفًا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده»[٥]. ويوضح الدكتور إبراهيم الخولي أن تكرار الكلمة أو الجملة أو العبارة أو ما فوق ذلك لابد أن يكون «في سياق واحد، لفرض يستدعي إعادتها، وفي مقام يستدعي هذه الإعادة»[٦] وهذا يعني

---

(١) راجع: د. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية صـ ٨٥- ٨٦.

(٢) راجع: السابق صـ ٨٥.

(٣) راجع: د. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية صـ ٨٥.

(٤) الاستراباذي ، شرح الكافية في النحو ١/ ١٥.

(٥) ابن القيم ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان صـ ١٢٧. مكتبة المتنبي، القاهرة. د. ت.

(٦) د. إبراهيم الخولي، التكرار بلاغة صـ ٣٨. الشركة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٩٣.

أن وحدة السياق، ووحدة المقام شرط للتكرار.

والتكرار عند النصيين هو: «إعادة عنصر معجمي ما أو مرادفه أو شبهه أو عنصر مطلق أو اسم عام»[١].

ويذكر الدكتور سعيد حسن بحيري - وقد عد التكرار نمطًا من أنماط الإحالة - أن «الإحالة التكرارية هي الإحالة بالعودة، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد»[٢].

ويرى البحث أن موضع الألفاظ المكررة ليس مقصورًا على بداية جمل النص، لكن قد يكون في أول الجمل، وقد يكون في ثنايا الجمل، وقد يكون في آخرها، كما أن التكرار ليس مقصورًا على عدد من الألفاظ في الجملة، بل قد تتكرر جمل كاملة، وقد تتكرر فقرات. وكذلك تتكرر القصص والمواقف كما هو الحال في ربط الوحدات النصية على مستوى السور. ففاعلية تكرار الكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات أحيانًا تظهر على مستوى السورة الواحدة، مثل تكرار لفظ الجلاله؛ ومن ثم يظهر التماسك النصي على مستوى السورة، وهذا ما نحن بصدده في هذا المبحث. أما تكرار القصص فإنه لا يحدث على مستوى السورة الواحدة، بل يتعداها إلى التكرار على مستوى السور، وهذا ما سوف يتحدث عنه في المبحث التالي.

هذا، ويشترط الدكتور صلاح فضل شرطًا أساسيًا حتى يقوم التكرار بوظيفته النصية «التماسك النصي»؛ وهو «أن يكون لهذا الملمح (التكرار) نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن نظائره..»[٣].

ومهما يكن من أمر فالتكرار فضلا على كونه يؤدي وظيفة دلالية - كالتوكيد والتقرير – مثلا - فإنه كذلك يؤدي إلى تحقيق التماسك والترابط النصي، وذلك من خلال تكرار عنصر ما في النص، أو امتداده من بدايته حتى آخره. وهذا العنصر قد

---

(١) د. محمد خطابي ، لسانيات النص صـ ٢٤.

(٢) د. سعيد حسن بحيري ، من أشكال الربط في القرآن الكريم (تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في تماسك النص)، مقال من كتاب بعنوان فولفديترش فيشر، دراسات عربية وسامية مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية صـ ١٥١. مركز اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٩٤.

(٣) د. صلاح فضل ، ظواهر أسلوبية صـ ٢١٠ . دار الآفاق العربية القاهرة ١٩٩٧م.

يكون كلمة، أو جملة، أو فقرة. وهذا التكرار أو الامتداد- لاشك- يحدث تماسكًا وربطًا بين وحدات النص على اختلاف وتباين صورها.

وعلاقة التكرار في حدود السورة الواحدة تكاد لا تخرج عن أن تكون رابطة بين كلمتين في بنيتي جملتين متقاربتين أو متباعدين، أو رابطة بين جملتين برمتهما، أو بين فقرتين.

والتكرار في نص السورة القرآنية إما أن يكون باللفظ والمعنى متحد وهو ما عرف عند علماء النصية بـ(إعادة الصياغة)[١]، وإما أن يكون باللفظ والمعنى مختلف، وقد انفرد به القدماء مما يؤكد وعيهم لهذا العنصر المعجمي، وفيه يتكرر اللفظ ويختلف المعنى[٢]، وإما أن يكون بالمعنى واللفظ مختلف ، وقد عرف عند القدماء بالترادف، وهو من الظواهر التي كثر فيها الخلاف، إلا أن البحث- هنا- ليس معنيًا بقضية الخلاف؛ إذ ما يهمه هو أثره في تماسك النص وترابطه، وقد عرفه ابن فارس بقوله: «هو تسمية الشيء الواحد بالأسماء المختلفة»[٣]، وقد عرفه المحدثون بقولهم إنها: «ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل بينها في أي سياق»[٤].

وثمة نمط من أنماط التكرار في لغة نص السورة القرآنية يسمى (**التكرار التركيبي**)، «الذي- كما يقول الدكتور محمد حماسة- يكرر أنماطًا تركيبية خاصة تختلف في مفرداتها، ولكنها تتوازن في مكوناتها»[٥] أو «هو عبارة عن تكرار نظم الجملة، أو ما يمكن تسميته تكرار التتابع الجراما تيكي، أي تكرار الطريقة التي تبني بها الجملة... مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجملة»[٦]. وهذا النمط هو ما عده عبد

---

(١) راجع: د. سعيد حسن بحيري، من أشكال الرابط في القرآن الكريم صـ ١٥١.

(٢) انظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ٦/ ١٠٢، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجة، المكتبة الأزهرية للتراث. القاهرة ١٩٩٣.

(٣) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة صـ ٦٥ المكتبة السلفية القاهرة ١٩١٠.

(٤) أولمان، استيفن : دور الكلمة في اللغة صـ ٥٨. ترجمة د. كمال بشر. الطباعة القومية، القاهرة ١٩٦٢م.

(٥) د. محمد حماسة، الإبداع الموازي- التحليل النصي للشعر ص ١٨٧، ودار غريب القاهرة ٢٠٠٢م.

(٦) د. محمد حماد، تعليم العربية لغير الناطقين بها من المسلمين في ضوء القرآن الكريم صـ ٢١٩ حولية الجامعة الإسلامية- باكستان ١٩٩٥م، وانظر: د. محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث

القاهرة من باب الشيء إلى مثله في التركيب[١].

وفي هذا النمط يطرح مصطلح (**التوازي Parallelism**) أو (**التركيب المتوازي**) الذي «يتضمن نوعًا من التشابه»[٢]، وإن كان مفهوم التوازي قد ارتبط بالشعر أساسًا؛ «فإن هناك أنماطًا من النثر الأدبي تتشكل وفق المبدأ المنسجم للتوازي، وتكون الوحدات الدلالية في النثر هي المنظمة للتوازي»[٣].

ومن أنماط التكرار - أيضًا - (**التكرار الجملي**)، وهو الذي تتكرر فيه جمل بذاتها»[٤].

ومن أنماطه - أيضًا - (**التكرار المنتظم**)، وهو أن تكرر آية أو جملة أو أكثر بنظام ثابت لا يتغير في أكثر من موضع. ومن الأنماط الملحقة بالتكرار ما أطلق عليه أستاذنا الدكتور محمد حماسة بـ(**تكرار البنية العميقة**)[٥] لموضوع الفقرات، بحيث تختلف الفقرات في مكوناتها السطحية، ولكنها في عمقها تأخذ الاتجاه نفسه. وهذا النمط من التكرار - كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة -: «**أكثر عمقًا وخفاء**»[٦]؛ إذ يكون سطح النص متنوعًا و مختلفًا ولكن العمق واحد وهذان النمطان (**التكرار المنتظم**) و(**تكرار البنية العميقة**) خاصان بتكرار القصة في لغة نص السورة القرآنية.

هذا، ونظرًا أن هناك كثيرًا من الآيات والجمل القرآنية جاءت بأسلوب التكرار فسوف يكتفي البحث بعرض نماذج وأمثلة توضح دوره كعلاقة نصية تلعب دورا فاعلًا في تماسك وترابط وحدات النص القرآني. وليكن هذا العرض- هنا- على مستوى السورة منفردة.

وليبدأ البحث نماذجه على هذه العلاقة من خلال أول سورة في القرآن الكريم

والمناهج الحديثة صـ ٤٦ ، دار غريب. القاهرة ١٩٩٥م.

(١) انظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز صـ ٩٦ - ٩٧.

(٢) يوري لوتمان، تحليل النص الشعري- بنية القصيدة صـ ١٢٩. ترجمة د. محمد فتوح أحمد. دار المعرفة سنة ١٩٩٢م.

(٣) د. خالد سليكي، من النقد المعياري إلى التحليل اللساني:الشعرية البنيوية نموذجًا صـ ٣٩٢ مجلة عالم الفكر - المجلد الثالث والعشرون - العددان: الأول والثاني - الكويت ١٩٩٤م.

(٤) د. محمد حماسة، الإبداع الموازي صـ ١٨٧.

(٥) المرجع السابق صـ ١٨٧.

(٦)د. محمد حماسة، الإبداع الموازي صـ ١٨٧.

(سورة الفاتحة). ففي هذه السورة الكريمة تسهم علاقة التكرار في تماسكها عبر نمط من أنماطها، حيث تكرار لفظ الجلالة (الله) في آيتين أو جملتين، أولهما: آية البسملة، قال تعالى ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، والثانية: آية الحمد في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وتكرر- كذلك - لفظ الجلالة (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في آية البسملة والآية الثالثة، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] وهي من متممات الآية الثانية، إذ إن الآية الثانية، والثالثة، وكذلك الرابعة جملة واحدة ممتدة.

ثم تأتي ألفاظ الجلالة: «رب- الرحمن- الرحيم- مالك» في الآيات الثانية، والثالثة، والرابعة، وهي - كما وضح البحث - جملة واحدة جاءت تكرارًا لاسم الجلالة (الله) الوارد في الآية الأولى وإن لم تكن هذه الألفاظ هي نفسها لفظ الجلالة، إلا أنها تعدُّ جميعًا إضافات إلى لفظه سبحانه. فكل اسم من هذه الأسماء مرجعه إلى (الله) تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥] تكرار من طريقين، أولهما: تكرار مطلع الجملتين (**إِيَّاكَ**)، والثاني: تكرار الجملة الأولى تركيبيًا؛ إذ إن مكونات الجملتين تركيبيًا واحدة: (**ضمير مخاطب + كاف الخطاب + الفعل المضارع**).

وهكذا أسهم التكرار كعلاقة نصية في تحقيق التماسك النصي لوحدات وأجزاء هذه السورة الكريمة.

ويتضح - أيضًا - دورها في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ٥].

حيث تكرر مطلع الجملتين، وهو كلمة (أُولَئِكَ)، ومن ثم يتحقق التماسك بين الجملتين عن طريق تكرار اسم الإشارة.

ومنه- أيضًا - قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ** الَّذِينَ صَدَقُوا **وَأُولَئِكَ** هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومنه - أيضًا - قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ **فَأُولَئِكَ** مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ **أُولَئِكَ** رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] حيث تكرار اسم الإشارة في الجملتين وإن اختلف الموقفان إلا أن اللفظ واحد والمعنى واحد، فكلاهما يحيل إلى طائفة واحدة، هي طائفة أهل الإيمان.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا / وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا / وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا / أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ / أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] نمطان من التكرار:

أولهما: تكرار تركيبي أو تكرار متوازي، حيث تكرر التركيب (حرف الجر + الضمر + الاسم النكرة + أداة النفي + المضارع + الباء + الضمير) في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، و﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ و﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾. وعليه فقد تماسكت الجمل الثلاثة وترابطت من خلال علاقة التكرار التركيبي.

والثاني: تكرار لفظي معنوي، أي تكرار في اللفظ والمعنى، حيث تكرار مطلع كل من الجملتين في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. ومن ثم تحقق التماسك والترابط بين الجملتين من خلال هذه العلاقة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾ [الرعد: ٥].

تماسكت وترابطت الجمل الثلاثة؛ حيث تكرار اللفظ (أولئك) في مطلع كل جملة منها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ {٦} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ {٧} وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ {٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ{٩}﴾ [القارعة: ٦ - ٩] يلعب التكرار التركيبي دورًا مهمًا - أيضًا - في تماسك الجملتين؛ حيث تكرار تركيب الشرط وجزائه في كلتا الجملتين.

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ{٨}﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ، حيث ربطت علاقة التكرار التركيبي بين الجملتين.

وتتضح - أيضًا - علاقة التكرار التركيبي، حيث تماسك الوحدات النصية وترابطها في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى {٦} وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى {٧} وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى {٨} فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ {٩} وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ {١٠} وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ{١١}﴾ [الضحي: ٦ - ١١].

حيث تكررت الجمل الثلاثة الأولى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى {٦} وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى

{٧} وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى{٨}﴾ مع العلم أن الجملة الأولى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ قيدت بـ(لم) النافية، وهي كما هو معروف عنها لقلب الزمن في الماضي، ومن هنا تناسبت الأفعال الثلاثة من حيث الزمن (ألم يجدك - وجدك - وجدك).

وفي الجمل الثلاثة الأخيرة ربط التكرار التركيبي - أيضًا - بينها، فالتركيب في الجمل الثلاثة جاء تكوينه على النحو التالي:

(أما الشرطية + الاسم المعرفة + فاء الجواب + الطلب)، مع الفارق بين الأفعال الثلاثة «تقهر، وتنهر، وحدث» فالأولان كل منهما متعدٍ بنفسه، والأخير متعد بحرف. كما أن الأولين مسبوقان بنهي، والأخير جاء في صورة الأمر وكلها تدل على الطلب.

ومن **التكرار التركيبي** - أيضًا - قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى** {٥} **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** {٦} **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** {٧} **وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى** {٨} **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى** {٩} **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**{١٠}﴾ [الليل: ٥ - ١٠]. حيث تماسكت الجملتان من خلال علاقة التكرار التركيبي أو التكرار المتوازي في التركيب. غير خاف - كذلك - التكرار القائم في شبه الجملة (بالحسنى)، وكذلك في جملة الجزاء (فسنيسره). وهذا التكرار الأخير هو نمط تكرار اللفظ والمعنى مختلف؛ لأن التيسير في الجملة الأولى - لاشك - يختلف عن التيسير في الجملة الثانية. وغير خاف - أيضًا - أن هاتين الجملتين قد تماسكتا ـ أيضا ـ من خلال علاقة المقابلة، وهي من العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي.

ومن تكرار اللفظ والمعنى مختلف- أيضًا - قوله تعالى: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {٢} وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {٣} وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ {٤} وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ{٥}﴾ [الكافرون: ٢ - ٥].

إذ المعنى: لا أعبد في المستقبل ما تعبدون أنتم الآن، ولا أنتم تعبدون في المستقبل ما أنا عابد له، ولا أعبد قط آلهتكم حتى أكون الآن عابد لما تعبدون، ولا أنتم عبدتم قط إلهي حتى تكونوا الآن عابدين[(١)].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ **يُصَلُّونَ** عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **صَلُّوا** عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].حيث إن الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن الناس دعاء. ولما كانت الجملة الأولى تخبر بصلاة الله وملائكته على

(١) انظر: ابن القيم، الفوائد المشوق في علوم القرآن صـ ١٢٨.

النبي؛ جاءت الجملة الثانية بأمر المؤمنين بالصلاة على النبي ﷺ ؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين، العلوى والسفلي جميعًا(١).

ومن ثم يتحقق التماسك بين الجملتين، وذلك من خلال التكرار اللفظي الاشتقاقي، رغم أ ن المعنى - كما تبين - مختلف.

ومن هذا النمط - أيضًا - قوله تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٨١} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{٨٢}﴾ [البقرة: ٨١، ٨٢].

فقد تماسكت الجملتان عن طريق علاقة التكرار، حيث تكرر في الجملة الثانية لفظ (أولئك - أصحاب- خالدون)، وكما هو واضح أنها اتفقت في اللفظ إلا أن المعنى مختلف، فهذه الألفاظ في الجملة الأولى تشير وتعبر عن أهل الإيمان ومصيرهم، أما في الجملة الثانية فإنها تشير وتعبر عن أهل الكفر ومصيرهم.

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ **أُولَئِكَ** حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ {١٧} إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى **أُولَئِكَ** أَنَ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ{١٨}﴾ [التوبة: ١٧، ١٨].

وهكذا تماسكت وترابطت الجملتان من خلال علاقة التكرار، وكما هو واضح تكرار ناقص، إذ قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ يختلف معناه في الجملتين، ففي الجملة الأولى جاء إشارة إلى ا لمشركين، في حين جاء في الثانية إشارة إلى المؤمنين.

ويتضح التماسك والترابط في قوله تعالى ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ{٢٠}﴾ [المدثر: ١٩، ٢٠] حيث تكرار الجملة بأكملها، وفيه توكيد.

ومنه- أيضًا- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا {٥} إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا{٦}﴾ [الشرح: ٥، ٦].

ومنه- أيضًا- قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ {٣} ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ{٤}﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**﴾ [المرسلات: ١٥] حيث تكرر تسع مرات في مواضع متفرقة من السورة الكريمة، فهو على مدار السورة

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٨٠٦، دار إحياء الكتب العربية. فيصل عيسى البابي الحلبي.

الكريمة علاقة على نهاية مقطع وبداية مطلع. وهكذا تتماسك السورة الكريمة من خلال هذا التكرار الكلي للجملة القرآنية.

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ٨٠] حيث تكرر أربع مرات في مواضع متابعدة من السورة الكريمة، مما أحدث تماسكًا وترابطًا في الوحدات النصية لهذه السورة.

وفي سورة الرحمن تلعب علاقة التكرار دورًا فاعلًا على امتدادها، حيث تكرر قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] على امتداد السورة إحدى وثلاثين مرة. ومعلوم أن عدد آيات السورة ثمان وسبعون آية، إذن مثَّل التكرار بعلاقته النصية ما يقرب من نصف عدد آياتها، وهكذا يتحقق التماسك والترابط بين الوحدات النصية للسورة كلها لا بين هذه الآيات المكررة فحسب؛ لأن كل تكرار كان بمثابة التعقيب على خبر من أخبار السورة.

وتتضح دور علاقة التكرار في قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا **مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ** كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور: ٣٥] حيث تماسكت وترابطت جمله الأربعة عن طريق نمط من التكرار أطلق عليه علماء العربية (تشابه الأطراف)[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا **فَلَمَّا جَاءَهُم** مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [بالبقرة: ٨٩]. تكرر صدر الكلام، وهو المتمثل في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ بعد أن حال بينه وبين ما يتعلق به فاصل طويل جعله مظنة النسيان، فإذا أعيد صدر الكلام إلى الذاكرة اتضحت العلاقة بما يليه.

ويقول صاحب التحرير والتنوير موضحًا أثر هذا العلاقة: «مفاد الجملتين واحد ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ**﴾ [البقرة: ٨٩]، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ وإنما كررت عبارة (لما جاءهم) قصد إظهار اتحاد مفاد الجملتين المفتتحتين بلما وزيادة

(١) انظر: ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ٣/ ٥٢٠.

الربط بين المعنيين، حيث فصل بينهما بالجملة الحالية»[١].

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

حيث تكرر قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ مؤكدًا الجملة ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ وقد أحدث هذا التكرار - كما هو بين واضح - تماسكًا وترابطًا بين وحدتي النص.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ {٢٩} وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ {٣٠} مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ {٣١} وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ {٣٢} يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {٣٣}...وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ {٣٨} يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ {٣٩} مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ {٤٠} وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ{٤١}﴾ [غافر: ٢٩ ـ ٤١].

فقد لعبت علاقة التكرار دورًا بارزًا في تماسك الوحدات النصية؛ حيث تكرر قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ..﴾ في النص السابق ست مرات باللفظ. وفي التكرار - كما يقول الزمخشري - «زيادة تنبيه»[٢].

هذا، والمتأمل في قصص الأنبياء مع أقوامهم يجد أن علاقة التكرار تلعب دورًا بارزًا في تماسك وترابط الوحدات النصية المعبرة عن هذه القصص. والتكرار المقصود - هنا - يسمى التكرار المنتظم، وهو أن تكرر آية أو أكثر منها بنظام ثابت لا يتغير في أكثر من موضع، ولهذا النمط صور متعددة منها:

١ - أن تبدأ قصة كل نبي بآية تمهيدًا لهذه القصة، كما في سورة مريم؛ حيث تبدأ كل قصة بقوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾، حيث قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٦٠٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف ٣/ ٤٢٩.

الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: ٤١]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ [مريم: ٥١]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [مريم: ٥٤]، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ [مريم: ٥٦].

ولعل السر في هذا التكرار - زيادة على أنه أحدث التماسك والترابط بين هذه الوحدات - هو إثارة الانتباه إلى بدء قصة جديدة من قصص الأنبياء، وتنبه الأذهان- أيضًا - إلى ضرورة أخذ القدوة والمثل من هؤلاء الأنبياء؛ فهم قادة البشرية وهداتها الذين يخرجون الناس من الظلمات إلى النور، ومن دنس الشرك إلى طهارة التوحيد.

٢ - أن تبدأ قصةكل نبي بثلاث آيات بعد قوله تعالى ﴿أَلاَ تَتَّقُونَ﴾ كما في سورة الشعراء، وهذه الآيات هي قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٠٧} فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ {١٠٨} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٠٩}﴾، فقد تكررت هذه الآيات على لسان أنبياء الله تعالى (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب) عليهم جميعا السلام. وقد تكررت هذه الآيات بعد ذكر تكذيب قوم كل نبي له.

هذا عن مطالعها أو بداياتها، أما مقاطعها أو خواتيمها فقد تكرر قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ{١٢١}وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ{١٢٢}﴾ على التوالي في كل مقطع.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ{١٠٥}إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ{١٠٦}إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ{١٠٧}فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ{١٠٨}وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٠٩}﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ{١٢٣}إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ{١٢٤} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ{١٢٥}فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ{١٢٦}وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٢٧}﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ {١٤١}إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ {١٤٢} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ{١٤٣}فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ{١٤٤}وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٤٥}﴾ [الشعراء: ١٤١ - ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ {١٦٠} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ

{١٦١} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٦٢} فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ {١٦٣} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٦٤}﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ{١٧٦}إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ {١٧٧} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ{١٧٨}فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ{١٧٩}وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٨٠}﴾[الشعراء: ١٧٦ - ١٨٠].

وهكذا تماسكت وترابطت الوحدات النصية الحاملة مواقف الأقوام من دعوة أنبيائهم إليهم، وذلك عبر علاقة التكرار المنتظم؛ حيث تكررت مطالع القصص الخمسة، وتعانقت في اللفظ والعدد، إذ جاء كل مطلع من المطالع الخمسة على لفظ غيره في خمس جمل أصلية.

وكما تماسكت وترابطت مطالع هذه القصص ترابطت وتماسكت - كذلك- مقاطعها؛ حيث قطعت كل قصة من هذه القصص بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ {١٢١} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ{١٢٢}﴾ [الشعراء: ١٢١، ١٢٢]، ومن [١٣٩، ١٤٠]، ومن [١٥٨، ١٥٩]، ومن [١٧٤ - ١٧٥]، ومن [١٩٠ - ١٩١].

٣ - أن تبدأ قصة كل قوم من أقوام الرسل بذكر تكذيبهم، وتنتهى بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، وذلك في سورة القمر، وبيانه على النحو التالي:

فقصة قوم نوح معه تبدأ بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [القمر: ٩]، وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

وقصة عاد تبدأ بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٨]- وغير خاف كيف تماسكت هذه الآية وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦]؛ حيث تكرار لفظ (نذر) - ثم تنتهي بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢].

وتبدأ قصة ثمود بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٢٣] - وقد تماسك- أيضًا - وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٢١] - ثم تنتهي بقوله تعالى: ﴿وَلَقَد يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٣٢].

وتبدأ قصة قوم لوط بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٣]؛ الذي تماسك وترابط - أيضًا - وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٠]، ثم تنتهي بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٤٠].

وهكذا تنتهي قصص الأنبياء الأربعة التي تكررت مطالعها ومقاطعها. ثم يبدأ ذكر آل فرعون بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٤١]، وقد تماسك وترابط هو أيضًا بما جاء في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٩]؛ حيث تكرار لفظ (نذر)، والمتأمل في هذه السورة الكريمة يجد أن من أسباب تماسكها تكرار لفظ (نذر) الممتد ذكره من بداية السورة؛ حيث قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٥]، إلى قرب نهايتها كما بين البحث في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾. وهكذا تبين لنا دور هذه العلاقة في تماسك وترابط وحدات نص هذه السورة.

هذا عن علاقة التكرار المنتظم، وهو - كما وضح البحث - تكرار لفظي محض. وهناك نمط آخر ـ كما بين البحث ـ يمكن أن يضاف إلى علاقة التكرار أو يلحق بها، هو (التكرار الدلالي)، وهو ما عبر عنه أستاذنا الدكتور محمد حماسة بـ(تكرار البنية العميقة) [(١)].

فقد تختلف القصص في صورها السطحية من حيث الأشخاص والأحداث والأزمنة، ولكنها- في عمقها البنيوي- تأخذ الاتجاه نفسه من حيث وحدة الهدف والغاية التي ترمي إليها كل قصة من قصص النص المحلل. وهذا النمط من التكرار يعد من أكثر الأنماط عمقًا وخفاء؛ إذ قد يكون سطح النص القصصي متنوعًا مختلفًا، ولكن العمق فيها واحد؛ لأنه - كما أوضح البحث- يقصد هدفًا مشتركًا وكذا غاية واحدة.

وفي سورة الشعراء ما يوضح هذه العلاقة (التكرار الدلالي) أو (تكرار البنية العميقة)؛ حيث ورد في هذه السورة ذكر لمن سبق النبي ﷺ من الرسل والأنبياء، وبخاصة تكذيب أقوامهم لهم، وعقاب الله لهم في الدنيا، وما ينتظرهم من عقاب في الآخرة.

ورغم أن هذه القصص المتمثلة في سرد أحداث قصة (موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب) جاءت متنوعة ومختلفة في السطح، حيث اختلاف

---

(١) راجع : د. محمد حماسة، الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر صـ ١٨٧.

وتنوع الأشخاص والأحداث والأزمنة إلا أنها قد تماسكت وترابطت جميعها عبر علاقة التكرار الدلالي أو علاقة تكرار البنية العميقة؛ لأنها جاءت تكرر استمرارية موضوع واحد، عبرت عن البنية العميقة، هو موقف عناد وتكذيب الأقوام الذين أرسل الله ـ تعالى ـ إليهم الأنبياء والمرسلين، وكذا عقاب الله لهم في الدنيا والآخرة.

وكل ذلك جاء تثبيتًا وطمأنة لقلب النبي ﷺ؛ لأنه اشتد حزنًا عندما أعرض قومه عن القرآن ولم يؤمنوا به، وكذبوا ما جاء به من أنباء نبأ الله بها، مما جعل الرسول ﷺ يكاء يقتل نفسه حزنًا لعدم إيمان قومه. قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ {٣} إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ {٤} وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ {٥} فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.....﴾ [الشعراء: ٣- ٩].

ومن ثم أراد الله تعالى بعد هذا التمهيد أن يخفف عنه ﷺ ما هو فيه، فقص عليه طرفًا مما حدث لمن سبقوه من الرسل والنبيين، وخاصة تكذيب الأقوام، وعقاب الله تعالى لهم؛ لكي يطمئنه ﷺ، ويبشره بهلاك المكذبين من قومه ونجاة المؤمنين في الدنيا والآخرة.

وقد تمثل هذا التكرار الدلالي في ذكر قصص الأنبياء وأقوامهم على نحو التالي:

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {١٠} قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ{١١}﴾ [الشعراء: ١٠، ١١]، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ {٦٧} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ{٦٨}﴾ [الشعراء: ٦٧، ٦٨]
- وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ {٦٩} إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ {٧٠} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلَّ لَهَا عَاكِفِينَ{٧١}﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٧١] إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ {١٠٣} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ{١٠٤}﴾ [الشعراء: ١٠٣ - ١٠٤].
- وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ {١٠٥} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ {١٠٦} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٠٧} فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ {١٠٨} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٠٩}﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٠٩]، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ {١٢١} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ{١٢٢}﴾ [الشعراء: ١٢١، ١٢٢].

- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ {١٢٣} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ{١٢٤}﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤]، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ {١٣٩} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ{١٤٠}﴾ [الشعراء: ١٣٩، ١٤٠].
- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ .....﴾ [الشعراء: ١٤١ - ١٤٥]، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ .....﴾ [الشعراء: ١٥٨، ١٥٩].
- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ .....﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٤] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ .....﴾ [الشعراء: ١٧٤، ١٧٥].
- قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ .....﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٨٠] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ .....﴾ [الشعراء: ١٩٠، ١٩١].

ويمثل لهذه العلاقة - أيضًا - ما ورد من قصص في سورة الكهف؛ حيث تتكون السورة من خمس قصص، تماسكت جميعها وترابطت من خلال علاقة التكرار الدلالي، أو تكرار البنية العميقة، وقد تمثلت هذه البينة العميقة في وحدة الهدف الذي ترمي إليه كل قصة؛ فكل قصة من هذه القصص: «أهل الكهف، والجنتين، والسجود لآدم، وموسى والرجل الصالح، وذي القرنين» تبغي الوصول إلى نتيجة مؤداها انتصار الخير والحق، فقد انتصر أهل الكهف بالحفاظ على عقيدتهم ونجاتهم، وانتصر الرجل المؤمن- كذلك - بإيمانه بما عند الله تعالى، وانتصر المؤمنون بعدم اتباعهم إغواء الشيطان، وانتصر أصحاب السفينة بنجاتهم من الملك الظالم، وانتصر الأبوان المؤمنان بقتل ابنهما الذي كان سيرهقهما طغيانًا وكفرًا، وانتصر الغلامان بصلاح أبيهما والحفاظ على كنزهما، وانتصر الأقوام المصلحون بما وضع الله تعالى من قوة في ذي القرنين فمكن له في الأرض، فانتصروا على أعدائهم.

هذا ، إضافة إلى تكرار هذا المعنى في التعقيبات التي بين هذه القصص؛ فالمقدمة توضح الأجر الحسن للمؤمنين، والنذير الشديد لغير المؤمنين. قال تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢].

والتعليق أو التعقيب على قصة أهل الكهف يوضح- أيضًا- هذا المعنى: قال تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠].

وكذلك التعقيب على قصة الجنتين يوضح أن: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦].

والتعقيب على قصة السجود لآدم يؤكد جزاء الصنف الثاني أي: المجرمين. قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣]. وضمنيًا - عندما يعرف مصيرا المجرمين - يعرف مصير المؤمنين؛ إذالتعقيب كله خص الفئة المجرمة.

وجاء التعقيب الأخير المتمثل في الخاتمة يؤكد مرة أخرى ثواب المؤمنين، الذي كان ضمنيًا في التعقيب الذيء خص المجرمين، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٢].

وبعد، فقد اتضح من هذا العرض مدى أهمية هذه العلاقة (علاقة التكرار الدلالي) أو علاقة (تكرار البنية العميقة). فرغم أن وحدات النص المحلل- كما اتضح - كانت مختلفة ومتنوعة في السطح، إلا أن المعنى الدلالي العميق الذي تكرر في كل وحدة قد أدى إلى هذا التماسك.

وهكذا تبين لنا مدي أهمية هذه العلاقة (علاقة التكرار) بأنماطها المختلفة، وكذا دورها في تماسك وحدات نص السورة القرآنية، وذلك من الجانبين : اللفظي، والدلالي.

ثالثًا: علاقة الحذف

تعد علاقة الحذف من أكثر علاقات الترابط اللفظي شيوعًا؛ حيث يميل الناطقون إلى إسقاط بعض العناصر من الخطاب ؛ اعتمادًا على فهم المخاطب تارة ووضوح السياق تارة أخرى[(١)].

ولأهمية علاقة الحذف لا تكاد تجد مؤلفًا في النحو العربي، وفي علم المعاني، وفي علم إعجاز القرآن وتفسيره لم يتحدث عن هذه الظاهرة.

---

(١) راجع: د. طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي صـ ١٤٤ - ١٤٦ الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، بدون.

والحذف - كما يوضح صاحب دلائل الإعجاز أهميته- : «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن»(١).

كما أن الحذف يعد واحدًا من العوامل التي يتحقق بها التماسك أو الترابط النصي، وهذا ما أكده هاليداي ورقية حسن؛ إذا أفردا له قسمًا كبيرًا من كتابهما « Cohesion in English»(٢).

ونظرًا لميل اللغات إلى الحذف كثيرًا، أصبح «ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية»(٣). فالحذف لا يخص العربية فحسب، وإنما - أيضًا - اللغات الأخرى.

هذا، وقد أجمع القدماء على أنه قد يحذف عنصر أو أكثر من كلام تالٍ اعتمادًا على ذكره في كلام سابق. وهو عند علماء النصية «اعتداد بالمبنى العدمي أو ما يسمونه «Zero morpheme»، فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبًا بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة «العادي»(٤)، «أو ما قد يبدو في تقدير الناظر»(٥)، «وفي النظريات اللغوية التي تضع حدودًا واضحة للصواب النحوي أو المنطقي يتكاثر بحكم الضرورة نظرها إلى العبارات بوصفها مشتملة على حذف»(٦)؛ «إذ إنه من غير المعقول بالنسبة للناس أن يحولوا كل شيء يقولونه أو يفهمونه إلى جمل كاملة، فلو فعلوا لكان أولى بهم أن يفضلوا أن يتكلموا بجمل تامة أكثر كثيرًا مما يفعلون»(٧).

إن «إسقاط بعض عناصر البناء اللغوي - لاشك - يثري الإيحاء ويقويه من ناحية،

---

(١) الجرجاني ، دلائل الإعجاز صـ ١٤٦.

(٢) Halliday. Hassan, Cohesion in English, p.4, p.13, p.226.

(٣) د. طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي صـ ٦.

(٤) د. تمام حسان: مقدمة كتاب: النص والخطاب والإجراء لروبرت دي بوجراند صـ ٣٤،

(٥) المرجع السابق صـ ٣٤٠.

(٦) المرجع السابق صـ ٣٤٠.

(٧) المرجع السابق صـ ٣٤١.

وينشط خيال المتلقي من ناحية أخرى لتأويل هذه الجوانب المضمرة»[١].

وإثراء الإيحاء وتقويته، وتنشيط خيال المتلقي لتأويل الجوانب المضمرة، كل ذلك وغيره تقوم به علاقة الحذف، فتعمل على اتساق النص وترابط أجزائه وتماسكها.

هذا وقد اتفق النحاة العرب مع الغربيين في موضع المحذوف؛ فيذهب ابن هشام - في المغني - إلى أنه: «إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولًا أو ثانيًا فكونه ثانيًا أولى»[٢]؛ وذلك لأن «التجوز في أواخر الجملة أسهل»[٣]، وذلك بالطبع إن لم توجد قرينة ترجح أيهما يحذف - ويذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن «الحذف يكون من اليمين... ويتحرك دائمًا ليكون في الكلمة الأخيرة...»[٤]، ومفهوم أن يمين الجملة الإنجليزية هو آخرها، بخلاف الجملة العربية؛ إذ آخرها في الشمال، وذلك - لاشك - هو من أقوى العوامل التي يتحقق بها التماسك النصي بين الجملتين؛ إذ تتحقق المرجعية من خلال المذكور والمحذوف معًا، في مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠]، حيث حذف العنصران من التركيب الثاني، والتقدير: (أنزل ربنا خيرًا)، اعتمادًا على سبق ذكرهما في التركيب الأول[٥].

وثمة نوعان من الحذف[٦]:

أولهما: حذف مرجعيته مرجعية داخلية، وفي هذا النوع لابد من وجود دليل مذكور يسهم في تقدير المحذوف.

والثاني: حذف مرجعيته مرجعية خارجية، وهذا النوع يعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تفسير المثال.

ويرى البحث أن الحذف بنوعيه - سواء أكانت مرجعيته مرجعية داخلية أم

---

(١) د. علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة صـ ٦١. الناشر مكتبة النصر، القاهرة ط ٣ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) ابن هشام ، مغني اللبيب ٢/ ٧١١.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٧٠٩.

(٤) Halliday. Hassan, Cohesion in English. Ibid, p.173.

(٥) انظر: ابن هشام ، مغني اللبيب ٢/ ٦٩٢ - ٦٩٣.

(٦) راجع: د. صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق ٢/ ٢٠١.

خارجية - يسهم في التماسك أو الترابط النصي بين الوحدات. مع الفرق أن **النوع الأول** يكون على مستوى وحدات وأجزاء السورة الواحدة. أما **الثاني** فيكون على مستوى وحدات وأجزاء السور ككل[١].

هذا، والحذف الذي مرجعيته مرجعية داخلية ليس من شرط أن «يعتمد على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق»[٢]. فقد يكون في الجملة الأولى - وهو الغالب- وقد يكون في الجملة الثانية.

ولعل هذا قريب مما تنبه إليه نحاتنا العرب من قبل، ومثاله مثال ذلك الشاهد الذي ذكره المبرد:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك **راضٍ** والرأي مختلف[٣]

قال المبرد: «أراد: نحن بما عندنا راضوان. وأنت بما عندك راضٍ»[٤].

إذن «فالمرجعية - كما يقول الدكتور صبحي الفقي- إذا كانت بين المحذوف والمذكور، فهي داخلية لاحقة، أما إذا كانت بين المذكور والمحذوف، على الترتيب، فإنها تكون داخلية سابقة. أو لنقل إنها مرجعية داخلية متبادلة»[٥].

ومن ثم فمرجعية الحذف قد تكون داخلية (سابقة أو لاحقة أو متبادلة)، وقد تكون خارجية. والحذف بكلتا المرجعيتين الداخلية والخارجية يتحقق من خلاله التماسك أو الترابط النصي.

وعليه فالحذف كي يكون علاقة نصية في لغة القرآن الكريم لابد أن تتوفر فيه المرجعية، داخلية كانت أو خارجية.

أما عن أنماط الحذف النصي فتجد أنها تبدأ من الكلمة ثم العبارة ثم الجملة ثم أكثر من الجملة، والكلمة قد تكون اسمًا، وقد تكون فعلًا وهذه الأنماط لا تخرج عن

---

(١) والنوع الثاني هذا هو ما سوف يتحدث عنه – إن شاء الله تعالى - في المبحث الثاني تحت عنوان: العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي.

(٢) د. محمد خطابي، لسانيات النص صـ ٢١ - ٢٢.

(٣) المبرد ، المقتضب ٤/ ٧٣ . وانظر: سيبويه ، الكتاب ١/ ٧٥.

(٤) المصدر السابق ٤/ ٧٣.

(٥) د. صبحي إبراهيم الفقي ، علم لغة النص ٢/ ٢٠٣.

تقسيمات علماء العربية، وكذا علماء اللغة المحدثين. فقد أفرد ابن هشام قسمًا خاصًا تحدث فيه عن القضايا المتعلقة بالحذف، وذكر أنماط الحذف كلها وبصورة تفصيلية[١]. وقد عقد هاليداي ورقية حسن مقارنات كثيرة بين الحذف الفعلي والحذف الأسمي. وذكرا أن أكثر الأنماط التي يتحقق فيها الحذف «العناصر التي تحذف من جملة الاستفهام»[٢].

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن الحذف ليست أنماطه كلها تسهم مباشرة في تحقيق تماسك النص؛ إذ منها ما يكون بعيدًا عن هذه الوظيفة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ الآَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]. فالتقدير: (يتقون الله) لدلالة السياق، إلا أنه ليس - هنا - ما يحال إليه المحذوف، ومن ثم يصب القول بإمكانية تحقق التماسك. ولهذا ركز البحث- أثناء عرض النماذج والأمثلة - على ذكر المواضع التي تسهم في تحقيق التماسك أو الترابط النصي، وهو الهدف بل الغاية التي ترمي إليها دراسة العلاقات النصية.

وفي الصفحات التالية - إن شاء الله تعالى - نماذج وأمثلة في لغة القرآن الكريم توضح مدى أهمية هذه العلاقة في تماسك وترابط وحدات النص القرآني.

ومن نماذج علاقة الحذف قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢]. أي: اتخذوا العجل إلهًا[٣].

فمرجعية الحذف - هنا - مرجعية داخلية سابقة، بدليل قوله تعالى من نفس السورة: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ

---

(١) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب ٢/ ٦٩٢ إلى ٧٤٧. وانظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٠٣ إلى ٢١٦. وانظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، حيث عرض في كثير من أقسامه للقضايا المتعلقة بالحذف، خاصة في القسم الأول والثالث. دار الحديث القاهرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) Hailliday. Hasan, Ibid, p.173 Ibid, p.174.

(٣) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٢/ ٣٩٢.

نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]. والتقدير: إما أن تلقي عصاك.

فمرجعية الحذف مرجعية داخلية سابقة، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧].

وفي قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. أي: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غير معيبة غصبًا بدليل قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[(١)]، وكما هو واضح المرجعية - هنا - مرجعية سابقة.

وفي قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]. أي: ومن أنفق بعده وقاتل[(٢)]. والمرجعية - هنا- مرجعية لاحقة. بدليل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠].

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]. والتقدير: ومن لا يستنكف ولا يستكبر؛ بدليل التقسيم بعده[(٣)].

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧٣].

فمن الواضح أن الحذف - هنا - مرجعيته مرجعية لاحقة؛ لأن الحذف جاء قبل دليل التقسيم.

وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [آل عمران: ١٣]. والتقدير: إحداهما فئة بدليل قوله تعالى بعده: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾[(٤)] فالمرجعية هنا مرجعية لاحقة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ {٥} نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ{٦}﴾ [الهمزة: ٥، ٦].

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف ٢/ ٤٩٥.

(٢) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٢١.

(٣) انظر: المصدر السابق ٣/ ١٢١.

(٤) انظر: المصدر السابق ٣/ ١٣٥.

والتقدير: والحطمة نار الله الموقدة[١]. فالمرجعية - هنا- مرجعية سابقة.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]. أي: أهذا خيرًا من جعل صدره ضيقًا حرجًا وقسا قلبه[٢]، فالمرجعية - هنا - مرجعية لاحقة بدليل قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٤]. والتقدير: والمحصنات من المؤمنات... حل لكم. والمرجعية - هنا - مرجعية سابقة بدليل ما قبله.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]. والتقدير: فإذا نزل بساحتهم العذاب. والمرجعية - هنا - مرجعية سابقة بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الصافات: ١٧٦].

وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]. فالمعنى: فضربوه فحيي، فحذف ذلك لدلالة قوله تعالى: **﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾**[٣]. ومن الواضح - هنا - أن المرجعية مرجعية لاحقة.

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]. والتقدير: فضرب فانبجست. قال الزمخشري: «فهلا قيل: فضرب، فانبجست، قلت: لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسببًا على الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر، وأنه من انتفاء الشك عنه، بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به»[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى{٩١} قَالَ يَا هَارُونُ مَا

---

(١) المصدر السابق٣/ ١٣٦.

(٢)المصدر السابق ٣/ ١٣٦.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف ١/ ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٢٤.

مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا {٩٢} أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي{٩٣}﴾ [طه: ٩١ - ٩٣].

أي: قال وقد أخذ بلحية أخيه ورأسه يجره إليه[(١)]. ومن الملاحظ - هنا- أن المرجعية مرجعية لاحقة والدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤].

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأمْنِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {٨١} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ{٨٢}﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

والتقدير: (فريق الذين آمنوا)- والمرجعية- هنا - مرجعية سابقة. والدليل: الفريقين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]. والتقدير: نعم العبد سليمان، لأن القصة في ذكر نبي الله سليمان. والمرجعية - هنا- مرجعية سابقة، والدليل: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ وقد جاء قبله.

وفي قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لله﴾ [الأنعام: ١٢] والتقدير: قل ما في السماوات والأرض لله. فالمحذوف: (ما في السماوات والأرض)، والدليل مرجعية سابقة، حيث ورد في الجملة السابقة «جملة الاستفهام: لمن ما في السماوات والأرض؟».

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {١٥} مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ{١٦}﴾ [الأنعام: ١٥، ١٦].

والتقدير: من يصرف عنه العذاب يوم إذ عذابه عظيم أو عذابه عذاب يوم عظيم، فالتنوين تنوين عوض عن الجملة المحذوفة. وثمة دليل سابق مذكور قبله، ومن هنا حدث التماسك بين الآيتين. غير المرجعية السابقة.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا** {١} **وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا** {٢} **وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا** {٣} **فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا** {٤} **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا** {٥} **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ**{٦}﴾ [النازعات: ١- ٦]. حذف جواب القسم، وتقديره: لتبعثن ولتحاسبن والدليل: إنكسارهم للبعث في قولهم: ﴿**أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ**﴾ [النازعات: ١٠][(٢)]. ومن الواضح - هنا - أن المرجعية في الآيات مرجعية لاحقة.

---

(١)المصدر السابق ٢/ ٥٥٠ وما بعدها.

(٢) انظر: الزركشي ، البرهان في علون القرآن ٣/ ١٩٢.

وفي قوله تعالى: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]، فأعقب بقوله تعالى حكاية عن ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩].

والحذف - هنا - تقديره: فأخذ الكتاب فألقاه إليهم وقرأته، و﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ ...﴾[١]. ومن ثم حدث التماسك بين الآيتين. ومن الواضح- هنا - أن المرجعية قد تكون سابقة، والدليل ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي﴾، وقد تكون لاحقة والدليل: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

ومن ذلك- أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥].

«أي: «فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه إليه لذلك، فجاء، فقال له: يا يوسف، وإنما قلنا: إن هذا الكل محذوف؛ لأن قوله: «أرسلون» يدل لا محالة على المرسل إليه، فثبت أن «إلى يوسف» محذوف. ثم إنه لما طلب الإرسال إلى يوسف عند العجز الحاصل للمعبرين عن تعبير رؤيا الملك دلَّ ذلك على أن المقصود من طلب الإرسال إليه استعباره الرؤيا التي عجزوا عن تعبيرها»[٢].

وهذا الحذف يمثل ربطًا دليًا بين الآيتين: «فأرسلون. يوسف...» ودل على المحذوف السياق اللغوى، ومن ثم فمرجعية هذا المحذوف داخلية سابقة.

ومن ذلك -أيضًا - قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا {١١} فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا{١٢}﴾ [الكهف: ١١ -١٢].

إذ التقدير: فاستجبنا دعاءهم فضربنا. وهذا الحذف - كذلك- يمثل ربطًا دلاليًا بين آية الدعاء وآية الإجابة، ودل على المحذوف السياق اللغوى؛ ومن ثم فمرجعية هذا المحذوف داخلية سابقة.

ومنه- أيضًا- قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {٧} فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ....﴾ [القصص: ٧، ٨].

والتقدير: فأرضعته، وخافت عليه، فألقته في اليم، غير خائفة ولا حزينة، متأكدة من وعد

---

(١)انظر: السابق ٣/ ١٩٥.

(٢) انظر: الزركشي ، البرهان في علون القرآن ٣/ ١٩٤وما بعدها

الله، فرأى جنود فرعون الصندوق الذي فيه موسى، وهو على سطح الماء، (فالتقطه آل فرعون).

وكما هو واضح بين أن هذه أحداث ثانوية حذفت، وأن المتلقي يدركها من خلال سياق القصة، ولاشك أن الخطوط العريضة أو الأساسية لأحداث القصة تمثل هي الأخرى دليلًا على المحذوف من أحداث ثانوية، فالمحذوف هنا يحقق التماسك أو الترابط النصي، لا بين السابق واللاحق فحسب، بل بينهما معًا.

ومن ذلك- أيضًا- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

والتقدير: فقبل الدعوة، وسار معها، فلما وصل إليه أو فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين. وكما هو واضح أن المحذوف جمل ثانوية تعتمد في ذكرها على السياق، وعلى مراعاة الجمل الأساسية، وكذا ترتيب الأحداث وتعاقبها.

ومن ذلك - أيضًا- قوله تعالى: ﴿ **ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ** {١٣} **وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ** {١٤} **عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ** {١٥}﴾ [الواقعة: ١٣ - ١٥].

والتقدير: فيوم إذ نفخ في الصور، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وقعت الواقعة. والدليل ما ذكر في الآيتين (١٣ - ١٤) مع وجود تنوين العوض للدلالة اللغوية على المحذوف، والمحذوف من لفظ المذكور. والمرجعية - كما هو بين - مرجعية سابقة. والتماسك هنا بين أكثر من آية.

إلى غير ذلك من النماذج الدالة على علاقة الحذف في لغة القرآن الكريم التي تميل كثيرًا إلى لغة الإيجاز، وفي تلك اللغة يترك لذهن المتلقي العنان لتقدير المحذوف، ومن ثم فك رموز النص.

ثانيا :العلاقات النصية المحلية ذات الترابط المفهومي

****

استقر لدى البحث أن العلاقات النصية بين مفاهيم الجمل قد تكون علاقات لفظية تعتمد على الألفاظ التي هي علامات على هذه العلاقات وقد قسمت هذه العلاقات على حسب ما تراءى على سطح النص إلى نوعين من العلاقات:

أولهما: العلاقات اللفظية الأداتية

والثاني: العلاقات اللفظية البنيوية

وهذا ما كان حديثًا للبحث في الصفحات السابقة، وقد تكون هذه العلاقات علاقات مفهومية حيث لا توجد روابط لفظية أو علامات لغوية ظاهرة على سطح النص.

والعلاقات النصية ذات الترابط المفهومي هي ما أطلق عليها الدكتور تمام حسان العلاقات الملحوظة نسبة إلى الملحوظ من المعاني الرابطة بين مفاهيم الجمل[(١)].

إذن فالعلاقات النصية ذات الترابط المفهومي مرجعيتها ما فهم من معاني تراكيب جملتين أو أكثر، ربط بينها سياق نصي ما، فقد يكون بعض هذه المعاني مقابلًا لمعنى آخر، أو مسببًا عنه، أو تفسيرًا له. يقول حازم القرطاجني واصفًا بعض هذه العلاقات المفهومية في القصيدة: «ويجب أن يردف البيت الأول من الفصل بما يكون لائقًا به من باقي معاني الفصل، مثل أن يكون مقابلًا له على جهة من جهات التقابل، أو بعضه مقابلًا لبعضه، أو يكون مقتضى له، مثل: أن يكون مسببًا عنه، أو تفسيرًا له، أو محاكي بعض ما فيه ببعض ما في الأخر، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضى ذكر شيء بعد شيء آخر»[(٢)].

وقد لا يظهر الرابط السياقي بين الجملتين، بل قد يغيب ويحل محله الرابط المعنوي، فتكون إحدى الجملتين تفسيرًا للأخرى، أو تكون تفصيلًا لإجمال سبقه، أو تكون

---

(١) انظر د. تمام حسان ، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآن صـ ١٨٧ - ١٨٨ مجلة الدراسات القرآنية مجلد ٣، عدد٤، سنة ٢٠٠١م.

(٢) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء صـ ٢٩٠.

إحداهما تأكيدًا للأخرى.

وقد يكون سبب غياب الرابط السياقي بين الجملتين قوة الارتباط الدلالي أو المعنوي بينهما؛ فيكون حال إحداهما مع الأخرى كحال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد. يقول الجرجاني: «واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله، فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه، وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد، كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها. وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئًا سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف، والتأكيد غير المؤكد»[١].

وهكذا يتسق النص وتتماسك أو تترابط الجمل فيه بعضها مع بعضها الآخر دلاليًا من خلال المعلومات التي يقدمها النص، بيد أنه إذا فقدت الجمل السياق الذي تناسق به وتتسق فإنها - لاشك - تكون غير متماسكة.

إن العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي أو العلاقات النصية المفهومية - كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة - : «متنوعة ومتجددة مع النصوص بحيث يكاد كل نص يبتكر وسائل تماسكه الدلالية، وهذه العلاقات... هي التي تساعد على ربط الإشارات في النص ببعضها، وتعين على تطورها وأسلوب تحولها حتى تكون في النهاية خيطًا قويًا يربط النص رباطًا خفيًا يحتاج إلى تلطف لكشفه»[٢].

إن الكشف عن هذه العلاقات - لا شك - يتطلب من المتلقي فهم كل وحدة نصية أو جملة، وعلاقة مضمونها بمضمون ما قبلها وما بعدها، وارتباطها بمضمون النص.

وهذه العلاقات المفهومية «عند التأمل - كما يقول أستاذنا الدكتور تمام حسان - نجدها تتراوح بين الوضوح الصريح ودقة الاستخراج، وبين أن تكون عرضة للاحتمال في بعض الحالات؛ إذ يتردد المرء أحيانًا في نسبة الموقع إلى هذه العلاقة أو

---

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز صـ ٢٢٧.

(٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي صـ ٣٦.

تلك؛ بسبب كون كل منهما ممكنة، إلا أن تقوم قرينة ما على أن إحدى العلاقتين أولى بالاعتقاد من الأخرى»[١].

إن كثيرًا من العلاقات المعنوية الدلالية التي تنشأ بين الجمل عبر روابط غير لفظية أو لغوية، أو قل عبر روابط ذاتية مستمدة من مفاهيم الجمل ذاتها، أقول إن كثيرًا من هذه العلاقات يحتاج منا إلى كثير من التأمل والتدبر والتروي في قراءة النص الذي يمتلك مثل هذه العلاقات غير الظاهرة. ويوضح الدكتور محمد أبو موسى أثناء حديثه عن مثل هذه العلاقات: «أنه إذا قويت العلاقة بين الجملتين اتصلت من ذات نفسيهما، وتداخلتا وصارتا كالشيء الواحد، فإذا أدخلت الواو بينهما فكأنك عمدت إلى جسم غريب وأفحمته بين الشيء ونفسه، ما لم يكن لك من وراء ذلك مغزي. وإدراك هذا الضرب من الصلة بين المعاني يحتاج إلى مزيد من التأمل في المعنى، ومعرفة جوهرة»[٢].

إذن – كما قال علماؤنا - تحتاج هذه العلاقات إلى مزيد من التأمل والتروي، بل المصاحبة اللطيفة للكشف عن دورها وفاعليتها في ترابط وحدات النص وتماسك أجزائه.

وفي الصفحات التالية نماذج مرصودة في لغة القرآن الكريم لهذه العلاقات.

- علاقة التذييل

ويراد بالتذييل «أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول، أو مفهومه»[٣]، أو هو عبارة عن «الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد، وتقرير لحقيقة الكلام»[٤].

ومؤدى ذلك - كما فهم من المراد بالتذييل - أنه إذا أتت جملة مستقلة بعد إتمام الكلام، فأفادت معنى الكلام الأول وأكدت وقررت حقيقته فثم التذييل، وليس يكون

---

(١) د. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ١/ ٤٠٤.

(٢) د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب دراسة بلاغية صـ ١٩٥.

(٣) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٣/ ٦٨.

(٤) العلوى، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٢/ ٢٢٥، مطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٣هـ ١٩١٤م.

التذييل لشيء غير هذا. وفي ذلك نظر إذ قد تكون الجملة ذات معنى آخر غير التوكيد كما في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] وهو جملة طلبية جادت في صورة الأمر، وجاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣] تعليلًا لما قبله، أي: لأنه ثواب على عباده، وهو جملة إثبات، والإثبات لا يؤكد الطلب.

ويتضح ذلك - أيضًا - في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]. فجملة «إنك كنت من الخاطئين» تعليل وهو إثبات لطلب وهو الأمر في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾.

إذن فالجملة التذيلية جملة مستقلة تأتي بعد جملة قد تكون مقررة مؤكدة لما قبلها، أو معللة، أو مضيفة معنى غير ذلك، حسب ما يقتضيه السياق.

ومن أمثلة علاقة التذييل في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

فجملة: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ جملة مستقلة عما قبلها مع أنها تحمل نفس المعنى؛ فهي تقوم بدور المؤكد لما قبلها. إذن فالعلاقة الرابطة بين الجملتين في قوله تعالى السالف الذكر علاقة تذييل أفاد معنى التوكيد.

ومن أمثلتها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]. فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله، ومؤكد له؛ لأنه تذييل لموعظة المشركين[1]. فصدر الآية يشتمل بين ثناياه على ذلك المعنى الوارد في التذييل.

ومن ذلك – أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. فالآية تشير إلى وعيد الله لليهود بأن يسلط عليهم عدوهم كلما نقضوا ميثاق الله تعالى، وتشير كذلك إلى وعده لهم بإنجائهم إذا تابوا من ذلك واتبعوا الإسلام[2]؛ ولذلك جاء بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقد اشتمل على تذيلين

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ١١/ ٢٧٩.

(٢) المصدر السابق ٩/ ١٥٦ - ١٥٧.

توافقا مع المعنى الذي سبقهما، فكان ذلك بمثابة التأكيد لما سبق. فالنقض لميثاق الله تعالى يقابله عقاب الله السريع في الدنيا؛ والتوبة يقابلها المغفرة والرحمة، ولما كان الكلام في آية الأعراف هذه على عقوبات الدنيا أكد سرعة العقاب؛ لأنه عاجلهم في الدنيا فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾[١].

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] فقوله تعالى وهو حكاية عن فرعون ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ تذييل لقوله تعالى حكاية عنه – أيضًا - ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ مقررلمضمونه ومؤكد له[٢]؛ إذ إن تقتيل الأبناء واستحياء النساء داخل تحت ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ فهذه الجملة تدل على مضمون ما قبلها وتؤكده.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] فقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله[٣] ومؤكد له.

ومنه أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]. فقوله تعالى: ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ علاقته بما قبله علاقة تذييل مقررة لمضمونه أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب[٤].

وتتضح علاقة التذييل –أيضًا - في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ علاقته بماقبله تذييل لما سبق من الوعد

---

(١) راجع: د. فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني صـ ١٢٨، دار عمارة، الأردن، ط: ١، سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٢) راجع الألوسي، روح المعاني ٩/ ٢٩.

(٣) المصدر السابق ٩/ ٦٩.

(٤) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم ١/ ١٣٢.

وتأكيد له[١]. فالله تعالى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم.

وتتضح - أيضًا - علاقة التذييل المقررة لمضمون ما سبق قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣]. فقوله تعالى: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ تذييل مقرر لفحوى ما قبله[٢].

وتتضح - أيضًا - في قوله تعالى من سورة مريم ﴿وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]. فقوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ تذييل وتقرير لما قبله[٣].

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥] فقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾ تذييل مؤكد لمضمون ما قاله أصحاب القرية في الجملتين السابقتين. قال الألوسي موضحًا هذه العلاقة: «هذا القول ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾ تصريح بما قصدوه من الجملتين السابقتين[٤].

ومنه - أيضًا - ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥] فقوله تعالى: ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الإذاغة ومؤذن بعلته[٥].

ومن أمثلة علاقة التذييل المعللة لمضمون ما سبق قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يوسف: ٨١] فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ تذييل لتعليل ما قبله، أي: لأن الله لا يصلح عمل المفسدين، فالعلاقة بين هذه الجملة وما قبلها علاقة وطيدة حتى إنهما

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٦٨.

(٢) انظر: السابق ٣/ ٤٠.

(٣) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٣/ ٤٨٢.

(٤) انظر: الألوسي، روح المعاني ٢٢/ ٢٢١.

(٥)الألوسي، روح المعاني ٢٨/ ٨٥.

ليتصلان من ذات نفسيهما.

ومنه - أيضًا - ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣] فالجلمتان: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ علاقتهما بما قبلهما علاقة تذييل للتعليل.

وتتضح - أيضًا - هذه العلاقة في قوله تعالى من سورة الأنفال: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ الله فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ {٥٢} ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ{٥٣}﴾ [الأنفال: ٥٢، ٥٣] حيث جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تذييلا معللا لمضمون ما قبله من الآخذ. فأخذ الله عز وجل لآل فرعون والذين كفروا بآيات الله من قبلهم ممن كانوا على شاكلتهم يقتضى أن يكون الأخذ قويًا ذا عقاب شديد.

ومنه - كذلك - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤] فقد جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ تذييلاً معللاً لقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[١].

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩] فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تذييل مسوق مساق التعليل مؤكد لمافهم من سابقه، وفيه إشعار بالانتقام من الكفار ووعد للمؤمنين بالنصرة والتمكين[٢].

ومنه - كذلك - قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. فقوله تعالى:

---

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ٢٦١.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٦٧١.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ جاء تذييلًا معللًا لمضمون ما قبله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ وتخصيص المغفرة بالذكر؛ لأنها الأهم[١].

إلى غير ذلك من الأمثلة والنماذج الدالة على علاقة التذييل. وهي - كما يبدو- من الأمثلة والنماذج ضرب من ضروب الصلة بين المعاني يحتاج إلى كثير من التأمل لكشف العلاقة التي تربط بينه وبين ما جاء قبله. ومن الملاحظ أن هناك انسجامًا وتماسكًا وتآلفًا بين مضمون الجملة المذيلة والجملة المذيلة، فليس في لغة القرآن الكريم جملة يدعو فحواها أو مضمونها إلى العقاب وتذييلها إلى المغفرة والرحمة، وليس فيه من جملة تتضمن رضوانًا ومغفرة من الله وينتهي تذييلها بالموعيد والشدة والعقاب.

- (علاقة السببية) «التعليل»

والمراد بعلاقة السببية أن تذكر قضية في النص ثم يذكر بعدها الشيء المتسبب فيها فتكون علاقة السببية أو التعليل هي الرابطة بين هذين المعينين «القضية وسببها».

هذا «ويفرق الاستعمال اللغوي - كما يقول الدكتور تمام حسان - بين السببية الملفوظة والسببية الملحوظة (أو المفهومة). فأما الملفوظة فقد يتقدم فيها السبب على المسبب، فتكون الأداة هي فاء السببية نحو قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وقد يتقدم المسبب على السبب فتكون الأداة لام التعليل نحو قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فالشهادة على الناس سبب لجعل الأمة وسطا، وقد يتم ذلك بعبارات أخرى تذكر فيها حروف أخرى كالباء في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]. أما العلاقة الملحوظة - أي المفهومة - فتقوم بين مسبب سابق وسبب لاحق دائمًا»[٢].

وتتضح هذه العلاقة في لغة النص القرآني من خلال النماذج الممثلة لها

ومن نماذجها قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]. فقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ سبب وعلة عدم اتباع الشيطان،

---

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني ٩/ ٧٥.

(٢) د. تمام حسان ، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني صـ ١٨٧ .

فالعلاقة الرابطة بين القضيتين علاقة السببية أو التعليل.

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]. فقد جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ تعليلًا[١]. فعلو فرعون في الأرض وجعله أهلها شيعًا، واستضعافه طائفة منهم، يذبح أبناءهم. ويستحي نساءهم، وكل ذلك كان سببه أنه كان من المفسدين.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] نجد قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ جاء سببًا وعلة لما قبله.

كما تتضح علاقة التعليل في قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]. فجملة: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ تعليل لجملة: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦] جاء قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ تعليل الجملة: ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾.

ومنه - أيضًا- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. فجملة: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ علة للإشارة عليه باستئجاره[٢].

ومثله - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]. فجملة: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ جاءت تعلل المراودة.

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٠/ ٦٨.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٠/ ١٠٥.

فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. فجملة: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ تمثل العلة والسبب التي من أجلها عاب الخضر عليه السلام السفينة، فكأنه قال: إن السفينة إنما خرقتها؛ لأنهم (أي: هؤلاء المساكين) كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة يأخذ كل سفينة غير معيبة غصبًا[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ جاء تعليلًا للعزم على قتل موسى[(٢)].

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]. فقد جاءت جملة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ في موضع العلة لجملة ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾[(٣)].

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠] فجملة: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ عله لقولهم: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾.

ومن ذلك- أيضًا - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] فجملة: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ جاء تعليلًا وسببًا لقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ **قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٨]. فقوله تعالى ﴿لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ جاء علة للنهي عن اتخاذهم بطانة. قال صاحب الكشاف يوضح هذه العلاقة: «فإن قلت: ما موقع هذه الجمل؟ قلت: يجوز أن يكون دولا يألونكم» صفة للبطانة وكذلك ﴿قَدْ

---

(١) انظر: ابن كثير ، تفيسر القرآن العظيم ٣/ ١٥٩.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤/ ١٢٥.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢٥/ ٢٣٣.

بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾ كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالاً بادية بغضاؤهم، وأما (قد بينا) فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٣] جاءت جملة: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ تعليلًا وسببًا لما قبلها.

وتتضح هذه العلاقة- أيضًا - في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ تعليل وسبب لأن يطلب نبي الله إبراهيم المغفرة من الله تعالى لأبيه.

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة الدالة على هذه العلاقة في لغة القرآن الكريم.

- علاقة التفسير

يدخل ضمن العلاقات بين الجمل التي تتماسك وتترابط من ذات نفسها بدون رابط لفظي؛ فتعمل على التئام النص والتحامه علاقة التفسير التي تربط بين جملتين بحيث تكون الجملة التالية مفسرة للجملة السابقة، ويطلق على الجملة التالية اسم: الجملة التفسيرية.

ومن أمثلة هذه العلاقة في لغة النص القرآني قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ويقول الزمخشري موضحًا هذه العلاقة: «﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم، أي خلق آدم من تراب ولم يكن له ثمة أب ولا أم. وكذلك حال عيسى.. لأنه وجد وجودًا خارقًا عن العادة المستمرة، وهمافي ذلك نظيران»[(٢)].

ومن نماذجها - أيضًا- قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣]، فقد جاءت - هنا - جملة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ثم جاءت أخرى لتكشف عن المقصود من هذا الميثاق، وهي: ﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي أن الميثاق يتضمن أمرين: الأول منهما: ألا تعبدوا إلا

(١) الزمخشري ، الكشاف ١/ ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٢) الزمخشري، الكشاف ١/ ٤٣٣.

الله والثاني: أن تحسنوا إلى الوالدين.

ومن أمثلتها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فقد جاءت جملة: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ثم جاءت جملة تفيسرية لها، وهي قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فهذا هو المقصود من حرصهم على الحياة، فهم أحرص على الحياة من كل الناس ومن الذين أشركوا.

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ {٥١} إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَّغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥٠، ٥١]. فجملة: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَّغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ جاءت بيانًا وتفسيرًا لجملة: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[(١)]. أي: إنا إلى ربنا منقلبون، فلا يضيرنا ما سوف تلحقه بنا يا فرعون من شتى أنواع العذاب فنحن نطمع في مغفرة ربنا، ونرجو ثوابه، نرجو أن يدخلنا جنته، وهنالك يكون النفع الذي لا ضير معه.

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ {٣٨} يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ {٣٩} مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ{٤٠}﴾ [غافر: ٣٨ - ٤٠] فقوله تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ إلى قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هو تفسير لقوله تعالى: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ**﴾ [الأنفال: ٥٤]، فقوله تعالى: ﴿**كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**﴾ جاء تفسيرًا وبيانًا لقوله تعالى: ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلا {٧٥} جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا....{٧٦}**﴾ [طه: ٧٥، ٧٦]. فقوله

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٩/ ١٢٨.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف ٢/ ١٦٤.

تعالى: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ جاء تفسيرا وبيانًا يوضح ما هية جزاء المؤمنين في الآخرة.

ومن أمثلتها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ**﴾ [الحجر: ٦٦]. فقوله تعالى: ﴿**أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ**﴾ جاء مفسرًا الأمر قبله، وهو قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ**﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة: ٤٩]. قال صاحب التحرير والتنوير موضحًا علاقة التفسير: «فجملة ﴿**يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ**﴾ بيان لجملة ﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾، فيكون المراد من سوء العذاب هنا خصوص التذبيح وما عطف عليه وهو ﴿**وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾ فكلاهما بيان لسوء العذاب»[(١)]. «وحاصل ذلك - كما يقول الألوسي: أنه حيث طرح الواو قصد تفسير العذاب وبيانه، فلم يعطف لما بينهما (أي بين الجملتين) من كمال الاتصال، وحيث عطف لم يقصد ذلك»[(٢)].

ومثال النموذج السابق - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]. فتقتيل الأبناء واستحياء النساء المذكور في جملة ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ومايليها هو تفسير لجملة: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى {٦٢} قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى {٦٣} فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى {٦٤}﴾ [طه: ٦٢، ٦٣]. فقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ تفسير لقوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[(٣)]. أي يفسِّر ما أسره السحرة في نجواهم تلك، وما انتهوا إليه بعد تنازعهم الأمر.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٤٩٣.

(٢) الألوسي، روح المعاني ١٣/ ١٨٩.

(٣) انظر: الألوسي، روح المعاني ١٦/ ٢٢٠.

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] فقوله تعالى: ﴿لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ جاء تفسيرا وتوضحًا لبنود هذا الميثاق.

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {١٩} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {٢٠} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {٢١}﴾ [المعارج ١٩- ٢١] فقوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {٢١} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا{٢٢}﴾ تفسير وبيان للهلوع.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١] جاء قوله سبحانه: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ تفسيرًا وتوضيحًا لاتخاذهم أولياء[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. فقوله تعالى: ﴿لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ تفسير وبيان لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾. ويوضح الدكتور تمام حسان: «أن المقصود أن يئوول إلى كل طرف ما كان له فذلك هو العدل الذي ينفي الظلم عن الجانبين»[٢].

وتتضح - أيضًا - هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] فقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ جاء تفسيرًا وتوضيحًا لما قبله؛ فالفضل هو إخضاع الجبال والطير وإلانة الحديد.

- علاقة التفصيل ـ الإجمال

والمقصود بهذه العلاقة ذكر شيء مجملًا، ثم يلي هذا الذكر ذكر آخر يفصله. وقد يذكر شيء مفصلًا، ثم يلي هذا الذكر ذكر آخر يُجمله. وعليه إذا كان هناك جمع ثم تقسيم كان لدينا علاقة (التفصيل بعد الإجمال)، وإذا كان هناك تقسيم ثم جمع كان لدينا علاقة (الإجمال بعد التفصيل).

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/ ٨٩ وراجع: الألوسي، روح المعاني ٢٨/ ٦٦.

(٢) د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن ١/ ٤١١.

إذن كل منهما مرتبط بالآخر: «ويأتي التفصيل مقترنًا بإجمال فيكون بمنزلة التعريف من التنكير إذ يجد المرء في كل منهما دلالة، ولكن دلالة التفصيل كدلالة التعريف أكثر تحديدًا من قرينتها»(١).

ومن نماذج علاقة التفصيل بعد الإجمال في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. فقوله تعالى: ﴿وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ جاء تفصيلا بعد إجمال في قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا {٨٣} إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا{٨٤}.....﴾ [الكهف: ٨٣ - ٩٨]. ففي قوله تعالى: ﴿سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ إجمال جاء تفصيله بداية من قول تعالى ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا {٨٤}﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]. وكما هو بين واضح أن الإجمال - هنا - استغرق خمس عشرة آية من هذه السورة الكريمة.

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ{٣} .....﴾ [القصص: ٣ - ٤٨] فقوله تعالى: ﴿نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ إجمال جاء تفصيله بداية من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا .....﴾ [القصص: ٤] إلى قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨] وهكذا كما هو واضح استغرق التفصيل أربعًا وأربعين آية من هذا السورة الكريمة.

ومن ذلك- أيضًا - قوله تعالى:﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى{٩} .....﴾ [طه: ٩ - ٩٨] فقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ جاء مجملًا تفصيله يبدأ من قوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا .....﴾ طه: ١٠] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا {٩٨}﴾ [طه: ٩٨] وهكذا جاء تفصيل المجمل في الآيات من هذه السورة الكريمة في تسع وثمانين آية.

---

(١) د. تمام حسان ، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني صـ ١٨٥.

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {١٠٣}.....﴾ [الأعراف: ١٠٣ - ١٣٧]. فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ{١٠٣}﴾ المتحدث عن قصة موسى وبعثه إلى فرعون ملئه جاء مجملا تفصيله يبدأ من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {١٠٤}﴾ [الأعراف: ١٠٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ {١٣٧}﴾ [الأعراف: ١٣٧] وكما هو ظاهر أن التفصيل بعد الإجمال جاء في أربع وثلاثين آية من السورة الكريمة.

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {٥٥}﴾ [آل عمران: ٥٥] إجمال جاء تفصيله في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ {٥٦} وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {٥٧}﴾ [آل عمران: ٥٦، ٥٧].

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. إجمال جاء تفصيله في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ{١٠٦}وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {١٠٧}﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧].

ومنه - أيضًا - قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] حيث جاء إجمالًا تفصيله قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ {١٠٦} خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ {١٠٧} وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ{١٠٨}﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٨].

وفي سورة الكهف جاء قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا {٧٩} وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا {٨٠} فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا {٨١} وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ

أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا.....﴾ [الكهف: ٧٩، ٨٢] تفصيلًا لقوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا {٧٨}﴾ [الكهف: ٧٨].

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..... {١٥} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ..... {١٦} وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {١٧}﴾ [فصلت: ١٥ - ١٧] حيث جاء تفصيلًا لإجمال ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ {١٣} **إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنْزَلَ مَلاَئِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** {١٤}﴾ [فصلت: ١٣، ١٤].

هذا عن علاقة التفصيل بعد الإجمال. ومن النماذج الدالة على علاقة الإجمال بعد التفصيل في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً {١٥٥} وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا {١٥٦} **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** {١٥٧} **بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** {١٥٨} **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** {١٥٩} فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا {١٦٠}﴾ [النساء: ١٥٥- ١٦٠].

قال صاحب المنزع البديع موضحًا هذه العلاقة: «فقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ بناء بالذكر الجملي على ما سبق في القول من التفصيلي، وذلك أن الظلم جملى ما سبق من التفاصيل، من النقض والكفر وقتل الأنبياء، وقولهم قلوبنا غلف، والقول على مريم البهتان، ودعوى قتل المسيح عليه السلام، إلى ما تخلل ذلك من أسلوب الاعتراض في موضعين، وهما في قوله: ﴿**بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾، وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿شَهِيدًا﴾»[(١)].

---

(١) السجلماسي: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ص ٤٧٩ - ٤٨٠ تحقيق علال الغازي مكتبة=

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة الدالة على دور وفاعلية علاقة (التفصيل – الإجمال) في تماسك وترابط لغة النص القرآني.

- علاقة الحوار

من العلاقات النصية المحلية ذات الترابط المفهومي التي تعمل على تماسك النص وترابطه (علاقة الحوار).

والمقصود- هنا - بعلاقة الحوار أن تجد كلامًا من أحد الأطراف، ورد طرفٍ آخر عليه، فالرد - لاريب - مرتبط بالحديث الأولى؛ لأنه رد عليه.

هذا، ولم يقتصر الحوار القرآني على موضوع معين، بل شمل موضوعات القرآن على تنوعها، وهي موضوعات شاملة أسس فيها القرآن منهاج الحياة كلها.

وقد تنازعت الجمل الحوارية أطرافا متعددة، تنوعت في جنسها وصفاتها، مثبتة أن باب الحوار في لغة القرآن الكريم مفتوح للجميع.

والأمثلة على علاقة الحوار في لغة القرآن الكريم كثيرة حسب أطرافها ومتنوعة حسب تعدد موضوعاتها.

ومن أمثلة علاقة الحوار في لغة النص القرآني ما دار من حديث بين الله- تبارك وتعالى- والملائكة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ **قَالَ** رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً **قَالُوا** أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ **قَالَ** إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٣٠} عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ **فَقَالَ** أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ {٣١} **قَالُوا** سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ {٣٢} **قَالَ** يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ **قَالَ** أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ {٣٣}﴾ [البقرة: ٣٠-٣٣].

ومن أمثلتها - أيضًا - في لغة القرآن الكريم الحوار الذي دار بين الله - عز وجل- وإبليس. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {١١} **قَالَ** مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ **قَالَ** أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {١٢} **قَالَ** فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن

=المعارف ، الرباط، ط:١، سنة١٩٨٠م.

تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ {١٣} قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {١٤} قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {١٥} قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {١٦} ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {١٧} قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١١ - ١٨].

ومن نماذجها - أيضًا- قوله تعالى يكلم آدم وزوجه: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ {٢٢} قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ{٢٣}﴾ [الأعراف: ٢٢، ٢٣].

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى يحاور نبيه نوحًا: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ {٤٥} قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ {٤٦} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ {٤٧} قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ {٤٨}﴾ [هود: ٤٥ - ٤٨].

وتتضح- أيضًا- هذه العلاقة في قوله تعالى محاورًا بشرًا غير الأنبياء: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ومن أمثلتها كذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {٢١} قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {٢٢} قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ {٢٣}﴾ [الأحقاف: ٢١ - ٢٣].

ومن أمثلتها - أيضًا - قوله تعالى الدال على الحوار الذي دار بين صاحب الجنتين وصاحبه: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا {٣٢}وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً

وَأَعَزُّ نَفَرًا{٣٣} **قَالَ لَهُ** صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ .....﴾ [الكهف: ٣٢ - ٤٢].

ومن نماذجها- أيضًا- قوله تعالى الحاكي الحوار بين الشاب الكافر ووالديه المؤمنين: ﴿وَالَّذِي **قَالَ** لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ **وَيْلَكَ آمِنْ** إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧].

ومن نماذجها- أيضًا- قوله تعالى الحاكي حوارًا بين موسى عليه السلام وابنتي نبي الله تعالى شعيب: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ **قَالَ** مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

إلى غير ذلك من أمثلة دالة على هذه العلاقة في لغة القرآن الكريم، وهي- لاشك- كثيرة ومتنوعة.

- علاقة الشرط

من العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي التي تعمل على تماسك وحدات النص وترابطها (علاقة الشرط). و«هذه العلاقة حين تقوم بين عنصرين في السياق النصي تجعل العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول»[(١)]. وإن خلا العنصران من الأدوات اللغوية الدالة على هذه العلاقة.

ومن النماذج الدالة على هذه العلاقة في لغة النص القرآني قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا﴾ [النساء: ١٥٣]. أي: إن استكبرت ما سألوه منك يا محمد ﷺ» فقد سألوا موسى أكبر من ذلك[(٢)].

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]. أي: إذا سألوك يا محمد عن الخمر والميسر فقل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما. وإذا سألوك عن الإنفاق فقل العفو وقد تكون العلاقة

---

(١) د. تمام حسان ، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة صـ ١٧٨.

(٢) انظر: الزمخشري ، الكشاف ١/ ٥٧٧.

الرابطة - هنا - علاقة الجواب. أي: الجواب على سؤال.

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] أي: وإذا سألوك يا محمد الروح فقل الروح من أمر ربي.....

وتتضح - أيضًا - هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]. أي: وإذا سألوك يا محمد عن ذي القرنين فقل سأنبئكم تلاوة منه ذكرًا.

وتتضح - أيضًا - علاقة الشرط في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ الله أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]. «أي: من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه لم يدخل هذه المساجد من بعد إلا خائفًا..... إلخ»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦]. «أي: إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم فلَن يعيده غيره إليكم، وهكذا وقع الاستفهام موقع الجواب»[(٢)].

وتتضح - أيضًا - هذه العلاقة في قوله تعالى من سورة القصص، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ {٧١} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفلاَ تُبْصِرُونَ {٧٢}﴾ [القصص: ٧١، ٧٢] أي: قل لهم يا محمد إن جعل الله عليكم الليل دائمًا.... فمن غير الله تعالى يعقبه ويأتي بضياء. وإن كان العكس فمن غير الله تعالى يُعقبه ويأتيكم بليل تسكنون فيه.

ومما تقدم من أمثلة أو نماذج لهذه العلاقة يتضح أن أسلوب الشرط - في هذه الأمثلة - ليس بشكله أو هيئته المعروفة التي يتوفر فيها خطيًا أداة شرط، وفعل شرط، وجواب شرط أو جزاء، لكن العلاقة الشرطية- هنا - تفهم من خلال الإمعان في

---

(١) انظر: د. تمام حسان، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة صـ ١٧٨.

(٢) انظر: المرجع السابق صـ ١٧٨.

السياق النصي الذي تظهر من خلاله أركان الشرط والعلاقة الرابطة بين هذه الأركان.

- علاقة الإلزام

من العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي (علاقة الإلزام). و«يجرى التعبير عن هذه العلاقة في الأغلب الأعم - كما يقول: د.تمام حسان- بعبارة: «تلك حدود الله»[(١)].

ومن نماذجها في لغة النص القرآني قوله تعالى: ﴿**الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ..... تِلْكَ حُدُودُ الله فَلاَ تَعْتَدُوهَا...**﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ..... وَتِلْكَ حُدُودُ الله...**﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وقولَه تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ..... تِلْكَ حُدُودُ الله**﴾ [النساء: ١٢، ١٣].

وفي قوله تعالى من سورة المجادلة: ﴿**فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ..... وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [المجادلة: ٤].

وفي قوله تعالى - أيضًا - من سورة الطلاق: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ..... وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...**﴾ [الطلاق: ١].

هذا ومن الممكن أن نطلق على هذه العلاقة علاقة (التكثيف) لأن قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ الله**﴾ أو ﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ الله**﴾ الوارد في النماذج السابقة يعد تكثيفًا لما ورد من أحكام.

- علاقة الموقفية

من العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي (علاقة الموقفية)، وهي علاقة دلالية تداولية تربط بين الموقف بما يضمه من متكلم وسامع والصورة التعبيرية للنص.

وكما يقول الدكتور تمام حسان: «لا تتم دلالة النص إلا برعاية الموقف. والمواقف أنواع لا يمكن إحصاؤها، وإن أمكن وصف كل فيها على حدة... والذي يتأمل بعض المواقف التي يوردها النص القرآني سوف يلمح لها سمات خاصة يكشف عنها سياق

---

(١) د. تمام حسان ، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني صـ ١٨٢.

النص. من هذه السمات ما نلاحظه من أن النص إذا كان له طابع الانفعال كانت الجمل منفصلة بعضها عن بعض، فليس بين الجملة وأختها رابطة لفظية من أي نوع»[(١)].

وتتضح هذه العلاقة ـ أيضا ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ..... رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ..... رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧- ١٢٩].

وتتضح- أيضًا- في قوله تعالى: ﴿..... رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ .....﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفي قوله تعالى -أيضًا -: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ ..... رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ [آل عمران: ٧ - ٩].

وفي سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ... رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ... رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾.

وفي سورة غافر قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** {٧} **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**{٨}﴾ [غافر: ٧، ٨].

ومن البين الواضح من النماذج السالفة الذكر أن موقف الدعاء والطلب هو الرابط بين هذه الجمل المنفصلة بعضها عن بعض اعتمادًا على علاقة الموقفية التي ربطت بينها.

ومما يؤيد هذه العلاقة - أيضًا- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]. فالفصل بين

(١) د. تمام حسان، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني صـ ١٧٧.

الجمل - هنا - جاء نتيجة لغضب الله على الذين دعوا إلى الإسلام فأعرضوا وأصروا على التمسك بدين آبائهم، وذلك ما ترويه الآية التي تسبق النموذج المذكور، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

إلى غير ذلك من الأمثلة والنماذج الدالة على هذه العلاقة . وقد تبين لنا واتضح مدى دورها الفعال في الربط والوصل بين الوحدات النصية والأجزاء . وإلى علاقة أخرى من علاقات الترابط المفهومي فلينتقل البحث .

- علاقة (المقابلة) أو التقابل

من العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي (علاقة المقابلة). وتنشأ هذه العلاقة حيث يكون مضمون الوحدة النصية الثانية أو التالية مقابلًا لمضمون الوحدة النصية الأولى أو السابقة.

ويقول صاحب منهاج البلغاء وسراج الأدباء: «إنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضًا، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضى لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب على صفة من الوضع تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر كما لاءم كلا المعنيين في ذلك صاحبه»[(١)].

والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين:

أولهما: أن الطباق لا يكون إلا بالجمع بين ضدين فذين فقط، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد على الضدين.

والوجه الثاني: أن المقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد[(٢)].

ولما كانت المقابلة «توفيقا بين المعاني التي يطابق بعضها بعضًا» «وجمعًا بين معنيين» بينهما نسبة تقتضى لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب - لما عُدَّت كذلك اعتبرت من العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي التي

---

(١) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء صـ ٥٢.

(٢) انظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن صـ ٣١ - ٣٢ تحقيق حفنى محمد شرف.

يتماسك بها النص ويترابط.

ومن نماذج هذه العلاقة في لغة النص القرآني قوله تعالى في عقاب الكافرين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ {٦} خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ {٧}﴾ [البقرة: ٦، ٧] الذي جاء مقابلًا لقوله تعالى في إثابه المؤمنين: ﴿..... أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٥}﴾ [البقرة: ٢ - ٥].

وجاء قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢] متصلاً بعلاقة المقابلة بقوله تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

وتتضح علاقة المقابلة - أيضًا - بين قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠].

وتتضح - أيضًا - بين قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١] وقوله: ﴿..... وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {٦٨} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا {٦٩}﴾ [الفرقان:٦٨، ٦٩].

وجاء قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ [القصص: ٧٢] متصلا عن طريق المقابلة بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ [القصص: ٧١].

وتتضح- أيضًا- هذه العلاقة بين قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء: ٥٧] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

وجاء قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ

سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٧١} وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً.....﴾ [التوبة: ٧١ - ٧٢] متصلا عبر علاقة المقابلة بقوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {٦٧} وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ {٦٨}﴾ [التوبة: ٦٧ - ٦٨].

ومن ذلك- أيضًا- قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

حيث جاء متصلًا عن طريق علاقة المقابلة بقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ {٧١} **قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**{٧٢}﴾ [الزمر: ٧١ - ٧٢].

هذا، وقد يأتي طرفا علاقة المقابلة متجاورين أو متقاربين - كما بين البحث من خلال النماذج والأمثلة السالفة الذكر - وقد يأتي طرفاها متباعدين، وقد يصل هذا التباعد إلى حد مجيء طرفٌ في صدر النص، والآخر في عجز النص كالذي وضحه صاحب الكشاف في سورة (المؤمنون)، حيث قال: «جعل (الله) فاتحة السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وأورد في خاتمتها ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ فشتان مابين الفاتحة والخاتمة»(١).

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ {١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ {٢} لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ {٣} تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ{٤} سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ {٥}﴾ [الفجر: ١ - ٥].

حيث بُدئت بذكر الليل، وخُتمت بمطلع الفجر(٢) وكما هو واضح بين أن علاقة المقابلة قد وصلت بين صدر السورة وعجزها.

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ٣/ ٤٥.

(٢) انظر: السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع صـ ١٠٧. تحقيق محمد يوسف الشربجي. مجلة الأحمدية. العدد الرابع، القاهرة، جمادى الأولى ١٤٣٠هـ.

وفي سورة الفجر ذكر في أولها عقاب من كفر وفسق من الأمم السابقة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ.....﴾ [الفجر: ٦ - ١٣] وذكر في أخرها نعيم من آمن فقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ {٢٧} ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً {٢٨} فَادْخُلِي فِي عِبَادِي {٢٩} وَادْخُلِي جَنَّتِي {٣٠}﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

وهكذا تبين لنا واتضح مدى أهمية علاقة المقابلة في ربط الوحدات النصية ووصلها في لغة النص القرآني .

- علاقة الإضراب

من العلاقات النصية التي يتم بها ترابط وحدات النص وتماسكها علاقة الإضراب. ويقصد بالإضراب السكوت عن كلام سابق، وإثبات كلام جديد يختلف عنه، والسكوت عن كلام سابق أو إبطاله «يغلب أن يكون بالجمل الخبرية، ولكنه قد يكون بغيرها»(١).

ويكون الإضراب علاقة لفظية - كما بين البحث من قبل- حينما يعبر عنه بأداتي الإضراب (بل، أم). أما حين تختفى الأداة أو العلاقة اللغوية وتظل العلاقة رغم ذلك قائمة فحينئذ تكون علاقة الإضراب علاقة ذات ترابط مفهومي، أو علاقة مفهومية يحددها سياق المعنى في النص.

ومن نماذجها في لغة النص القرآني قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ الله عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٨٠} بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٨١}﴾ [البقرة: ٨٠، ٨١].

فعلاقة قوله تعالى ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ بما قبله علاقة إضراب إبطالي. والتوجيه بل من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

يقول الزمخشري مبينًا هذا المعنى: «(بَلَى) إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله (لن تمسنا النار) أي بلى تمسكم أبدًا بدليل قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾»(٢).

---

(١) د. تمام حسان، العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة صـ ١٨٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف ١/ ٢٩٢.

ومن ذلك- أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ {١١٢} بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]. فعلاقة قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله....﴾ بما قبله علاقة إضراب إبطالي. ويوضح صاحب التحرير والتنوير قائلًا: «وبلَى إبطال لدعواهما، وبلى كلمة يجاب بها المنفى لإثبات نقيض النفي وهو الإثبات»(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ {١٢} أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ {١٢}﴾ [البقرة: ١١ - ١٢] علاقة ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ...﴾ بما قبلها علاقة إضراب إبطالي أي: بل إنهم هم المفسدون؛ لأن ما بعد (ألا) متحقق لا محالة بالتنبيه(٢).

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣] أي: بل إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. والإضراب الإبطالي - هنا - جاء عن مضمون جملة إنشائية هي: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨]. فعلاقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما قبله علاقة إضراب إبطالي.

ومن ذلك - أيضًا - قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِالله جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٣٨] فعلاقة قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ بما قبله علاقة إضراب إبطالي.

وهكذا تبين لنا دور هذه العلاقة في وصل الوحدات النصية وربطها في لغة النص القرآني .

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٦٧٤.

(٢) انظر: محي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه ١/ ٣٧ دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط: ٤، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف ١/ ١٨٢.

- علاقة التعقيب

يمثل التعقيب في لغة النص القرآني سمة بارزة من سمات الأسلوب القرآني. وعلاقة التعقيب المقصودة - هنا- هي تلك العلاقة النصية الرابطة بين معاني القصة الواردة وما يليها من كلام هو بمثابة التعقيب أو التعليق على ما ورد في القصة. ويتضمن هذا التعقيب في الغالب التذكير بالغاية التي من أجلها سيقت هذه القصة.

ومن نماذج هذه العلاقة في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا {٢٨} وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.....﴾ [الكهف: ٢٨ - ٣١].

الذي جاء تعقيبًا على قصة أصحاب الكهف التي ابتدأت بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩] التي امتدت إلى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وكما هو واضح جاءت علاقة التعقيب لتصل بين المعاني الواردة في قصة أصحاب الكهف وما تلاها من كلام جاء يمثل العبرة من القصة؛ في أنه إذا كان هذا موقف الفتية في الصبر على الاعتزال عن الناس وعن الشهوات حفاظًا على دينهم فإنه من الطبيعي أن يكون موقف الرسول ﷺ ليس أقل منهم بل أكثر. وجاءت كذلك تربط القصة ببيان عقاب الظالمين وثواب المؤمنين في الآيات (٢٩ - ٣٠ - ٣١) ليبدأ من بعد قصة الجنتين ليوضح فيهما نموذجًا آخر يبين فيه عقاب الظالم وثواب المؤمن. وكأن ما ورد في الآيات (٢٩ - ٣٠ - ٣١) كان جزءًا من التعقيب على قصة أصحاب الكهف وتمهيدًا في الوقت نفسه لقصة الجنتين التي بدايتها: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] إلى قوله تعالى ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤].

وبعد قصة الجنتين يأتي قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ .....﴾ [الكهف: ٤٥ - ٤٩] الذي يتماسك ويترابط بعلاقة التعقيب مع قصة الجنتين. وهو تعقيب يوضح مثل الركون إلى الدنيا، ومثل ابتغاء ما عند الله، وهذا ما حدث في قصة الرجلين اللذين منح أحدهما جنتين. ويمتد كذلك هذا التعقيب ليعرض مشهد يوم

القيامة الذي يفرق فيه كل أمر، فترى ثواب من اعتز وتمسك بما عند الله، وعقاب من أنكر الساعة وعصى الله. وذلك- لاشك- تعقيب على القصة السابقة، وهو- أيضًا- تمهيد للإشارة الموجزة لقصة آدام عليه السلام وامتناع إبليس عن السجود له، التي بدايتها قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

وبعد قصة آدم عليه السلام وامتناع إبلس عن السجود له يأتي قوله تعالى ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا .....﴾ [الكهف: ٥١] الممتد إلى قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَّمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩] تعقيبًا على قصة آدم عليه السلام، وجاء - أيضًا - تمهيدًا - متماسكًا- لقصة موسى عليه السلام مع فتاه، ثم مع الخضر في الآيات من (٦٠ - ٨٢) من هذه السورة الكريم.

وهكذا تستغرق قصة موسى عليه السلام ثلاثًا وعشرين آية، ثم تأتي قصة ذى القرنين وأصحاب الأخدود التي امتدت من الآية (٨٣) إلى الآية (٩٨). ونظرًا أن هذه القصة قد أبانت ما يحدث للظالمين وللمؤمنين فقد كان التعقيب المباشر عليها حتى نهاية السورة مرتبطًا بها. وهذا التعقيب يبدأ من الآية (٩٩) قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا {٩٩} وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا {١٠٠}﴾ [الكهف: ٩٩، ١٠٠].

وتتضح - أيضًا - هذه العلاقة (التعقيب) من خلال ما ورد في سورة القصص من تعقيبات بعد الانتهاء من قصة موسى عليه السلام.

وقد امتدت قصة موسى من الآية الثالثة إلى نهاية الآية الثالثة والأربعين وهي بهذا تكون قد استغرقت إحدى وأربعين آية ثم أعقبتها تعقيبات ستة. كل تعقيب يرتبط بالقصة من جهة ويرتبط بما سبقه من تعقيب من جهة أخرى. وجاء التعقيب الأخير تمهيدًا لقصة جديدة هي قصة قارون.

بدأت قصة موسى بقوله تعالى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣] حتى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣].

ثم جاءت هذه التعقيبات التي «طوفت بالنفوس والقلوب في تلك الآفاق والعوالم والأحداث والمشاهد. وردتها من الدنيا إلى الآخرة، ومن الآخرة إلى الدنيا. وطوقت بها في جنبات الكون وفي أغوار النفس، وفي مصارع الغابرين، وفي سنن الكون والحياة متناسقة كلها في محور السورة الأصيل. ومع القصتين الرئيستين في السورة: قصة موسى وفرعون، وقصة قارون»(١).

جاء التعقيب الأول في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ..... وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٤ - ٤٦].

- فالتعقيب يدور حول دلالة هذه القصة على صدق دعوى الوحي لذلك كانت بداية السورة تؤكد هذا، قال تعالى: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣].

وجاء التعقيب الثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {٤٧} فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ .....﴾ [القصص: ٤٧ - ٥١]. يؤكد ما جاء في قصة موسى من العناد الممتد حتى مع الرسول ﷺ وذلك دأب المكذبين الكافرين مع الرسل.

وجاء التعقيب الثالث في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ {٥٢} وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ {٥٣}...﴾[القصص: ٥٢- ٥٦].

وقد جاء التعقيب ليؤكد أنه إذا أزداد الالتواء والتكذيب فإنه على الرسول أن يذكرهم بالذين أوتوا الكتاب من قبل، وأنهم آمنوا به، وصدقوا، ثم عندما جاءهم القرآن صدقوا به كذلك؛ لأن الكتب السابقة قد بشرت به.

وجاء التعقيب الرابع في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا.....﴾ [القصص: ٥٧ - ٦١].

- وفي هذا التعقيب تعرض الآيات لموقف المشركين وخوفهم من أن تكون عاقبة إيمانهم بالرسول أن يتخطفهم الناس ويعادونهم. ولذلك يوضح النص أن الأمن لا

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٠٩.

يكون إلا في جوار الله تعالى، كما حدث مع موسى والمؤمنين به من نجاة، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن الله كما حدث مع فرعون وجنوده. ويعرض لهم النص أن مصارع الغابرين وهلاكهم لم يكن إلا لظلمهم وتكذيبهم الرسل. وينتهي هذا التعقيب بمقابلة بين حال الذين ركنوا إلى الدنيا وزينتها وحال الذين وعدهم الله الوعد الحسن.

ثم جاء التعقيب الخامس في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ {٦٢}.....﴾ [القصص: ٦٢ - ٦٧].

ويتماسك هذا التعقيب ويترابط وموضوع القصة؛ فالقصة عبرت عن اتخاذ الشريك من دون الله، وعاقبة المؤمنين وعاقبة المكذبين، وكذا جاء هذا التعقيب معبرًا عما دارت حوله القصة.

وجاء التعقيب السادس والأخير قبل قصة قارون في قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ {٦٨} وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ {٦٩} وَهُوَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٧٠} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ {٧١}...﴾ [القصص: من ٦٨ - ٧٥].

ومن الواضح أن هذا التعقيب يتماسك ويترابط مع قصة موسى حيث يوضح النص أن الله تعالى هو الخالق وهو المدبر وأن حسن الاختيار من البشر؛ كي يكونوا أنبياء له سبحانه من أمره وأن المشركين ما كان لهم الخيرة من أمرهم. وأن هذا كله دلائله موجودة في الكون حيث الأدلة المادية على وجود الليل والنهار وأن هذا يعقب هذا. ولاشك أن كل هذه المعاني تتوافق وقصة (موسى) عليه السلام التي جاء مضمونها يؤكد أن الله تعالى قد اختار موسى نبيًا وأنه وحده صاحب الآيات التي جاء بها موسى. هذه جهة، كما أن هذا التعقيب يعدُّ تمهيدًا لقصة أخرى هي قصة (قارون) الذي كان من قوم موسى فبغى وتكبر عليهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ .....﴾ [القصص: ٧٦ - ٨٢].

وهكذا تمتد قصة قارون من الآية السادسة والسبعين إلى نهاية الآية الثانية والثمانين ثم يأتي تعقيب على هذه القصة بقوله تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ {٨٣} مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ

يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٨٤}﴾ [القصص: ٨٣ - ٨٤].

فالآخرة بالطبع ليست لأمثال فرعون وجنوده، وليست لقارون وأمثاله. وقد بدأت السورة بوصف فرعون بأنه (علا في الأرض) وكذلك قارون بغى (الفساد في الأرض).

وهكذا كما هو واضح أن القصتين قصة موسى عليه السلام وقصة قارون - عليه من الله بمثل ما اقترفت يداه. وما كان من تعقيبات قد تبين التماسك والترابط فيها جميعًا.

وهكذا يتضح ويتبدى لنا مدى أهمية علاقة التعقيب في الربط والوصل بين المعاني والموضوعات. إلى غير ذلك من التعقيبات القرآنية وقد امتلأت بها لغة النص القرآني.

- علاقة الاستطراد

من العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي (علاقة الاستطراد) و«هو – أي الاستطراد - أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة بينهما ثم يرجع إلى إتمام الأول»[(١)]، أو- كما يقول القزويني: «هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به»[(٢)].

ومن نماذجها في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُّوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الله لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

قال الزمخشري يعلق على هذه الآية موضحًا هذه العلاقة: «وهذه العلاقة واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوآت، وخصف الورق عليها إظهارًا للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارًا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى»[(٣)].

وهكذا بعد هذا الاستطراد يرجع إلى ما كان معقودًا عليه المعنى الأول حتى يتمه قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

ومن نماذجها - أيضًا - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

---

(١) الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع صـ ٢٩٠ مكتبة الأصولي، دمنهور، القاهرة.

(٢) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة صـ ٤٩٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٢/ ٧٤.

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ {٦}.....﴾ [التحريم: ٦ - ٩]. فعلاقته بما قبله استطراد[١].

وبعد هذا الاستطراد يرجع الأسلوب الحكيم إلى ما كان معقودًا عليه المعنى حتى يتمه استكمالا جهات القرابات زوجة مع زوجها، وولد مع والدته قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ..... وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ..... وَمَرْيَمَ ابْنتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ {١٢}﴾ [التحريم: ١٠ - ١٢].

ومن نماذج علاقة الاستطراد - أيضًا - قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ {١١٠} لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُون {١١١}﴾ [آل عمران: ١١٠، ١١١] حيث جاء استطرادًا لما قبله.

قال صاحب الكشاف: «هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عطف»[٢].

وبعد هذا الاستطراد يرجع الأسلوب الحكيم بقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ.....﴾ [آل عمران: ١١٢].

وجاء قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤] مترابطا ومتماسكًا بما قبله بعلاقة الاستطراد.

قال الزمخشري: «ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد، وإذا لقنك جبريل ما يوحي إليك من القرآن فتأنَّ عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى

---

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٨/ ١٥٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف ١/ ٤٥٥.

(٣)الزمخشري ، الكشاف ٢/ ٥٥٥.

الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢] علاقة استطراد لما قبله. قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢].

يقول الزمخشري موضحًا هذه العلاقة: «ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه من كلِّ آي ومن كل واحد منهما....»[(١)].

وتتضح - أيضًا - علاقة الاستطراد في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ{٣٨} .....﴾ [آل عمران: ٣٨ - ٤١] حيث جاء استطرادًا من قصة مريم، وذلك ؛ «لاندراج قصة زكريا في ذكر من تكفل ، فما خلت الجملة عن تنبيه على قصته في الجملة»[(٢)]. قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا .....﴾ [آل عمران: ٣٧].

وتتحق علاقة الاستطراد- أيضًا - في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

حيث جاء قوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ استطرادًا لما جاء قبله.

يقول أبو حيان موضحًا هذه العلاقة: «والظاهر أنه تعالى لما أنكر على اليهود حسدهم الناس على فضل الله الذي آتاهم أتي بما على سبيل الاستطراد والنظر والاستدلال عليهم، بأنه لا ينبغي لكم أن تحسدوا فقد جاز أسلافكم من الشرف ما ينبغي أن لا تحسدوا أحدًا»[(٣)].

وهكذا جاءت علاقة الاستطراد وهي من العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي تؤكد مدى أهمية السياق في الكشف عن حجب الأغراض والمعاني المتوالدة بعضها من

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٠٤.

(٢) الألوسي ، روح المعاني ٣/ ١٥٨.

(٣) أبو حيان ، البحر المحيط ٣/ ٦٧٩.

بعض. وقد شاع في لغة القرآن الكريم هذا السلوك المعنوي؛ حيث يشرع النص القرآني في الحديث عن غرض من الأغراض أو معنى من المعاني، وإذا به عن طريق علاقة الاستطراد يتحدث عن غرض آخر أو معنى قد اتصل بخيط دقيق والمعنى الذي عقد في البداية، ثم إذا به وبعد الاستيفاء يرجع الأسلوب الحكيم يتحدث عما بدئ من قبل كي يتمه أو يتممه.

هذا عن(**العلاقات النصية المركزية المحلية**) ذات الترابطين: **اللفظي والمفهومي**. وهكذا تبدى لنا واتضح مدى دورها في الوصل والربط بين وحدات لغة النص القرآني والأجزاء .

وفي الصفحات التالية - إن شاء الله تعالى - حيث المبحث الثاني حديث عن (**العلاقات النصية اللامركزية الاستدعائية**)التي انقسمت هي - أيضًا - حسب السياق العام للغة النص القرآني إلى نوعين:

أولهما: العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط اللفظي

والثاني: العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي.

المبحث الثاني

العلاقات النصية الاستدعائية في سياق لغة القرآن الكريم

كان معيار تقسيم العلاقات النصية من حيث المركزية واللامركزية سببًا في تقسيم هذا الفصل على مبحثين:

الأول: العلاقات النصية المحلية في سياق لغة القرآن الكريم. وهي نمط من العلاقات لا يتعدى عملها نطاق النص الواحد الذي قد يكون سورة من سور القرآن أو وحدة نصية من وحدات نص السورة. وقد سبق دراسته والحديث عنه.

والثاني: العلاقات النصية الاستدعائية في سياق لغة القرآن الكريم . وهي النمط الآخر من العلاقات التي تتعدى بالاستدعاء بناية نطاق نص السورة الواحدة إلى نصوص أخرى، أو هي العلاقات التي تقوم بين النصوص بعضها مع بعض خارج نطاق نص السورة الواحدة.

والقرآن الكريم – بوصفه نصًا – يتخلله نمطان من العلاقات النصية ذات الترابط الاستدعائي.

أولهما : العلاقات النصية ذات الترابط الاستدعائي الخارجي، وتتضح هذه العلاقات من خلال مناسبات النزول، فالقرآن الكريم نزل مناقشًا لعدد من القضايا والمواقف، ومن ثم هناك تفاعل بين النص والواقعة أو المناسبة التي نزل من أجلها النص. هذه جهة.

كما أن هناك تفاعلا بين نص القرآن الكريم والحديث الشريف باعتباره المصدر الثاني بعد النص القرآني في مصارد التشريع، فالثاني قد يكون مؤكدًا لما ذكر في الأول، أو مفصلاً لما أجمل، أو موضحًا لما أبهم.. إلى غير ذلك من أنواع التفاعل. وهذه جهة ثانية.

وهناك تفاعل بين القرآن والكتب السماوية في عدد من الأفكار وهذه جهة ثالثة.

وثمة تفاعل – أيضًا – بين لغة القرآن الكريم ولغة العرب، فقد نزل بلسان عربي مبين، ومن ثم وجدت في أسلوب القرآن ظواهر كائنة في لغة العرب، مثل الحذف

والزيادة والتقديم والتأخير.. إلى غير ذلك من تفاعلات أسلوبية. وهذه جهة رابعة.

والثاني: العلاقات النصية ذات الترابط الاستدعائي الداخلي، وهي العلاقات النصية القائمة في منهجها على هذه المقولة التي تجلى ذكرها من الماضي إلى الحاضر إلى أن يشاء الله تعالى وهي مقولة علمائنا السلف: القرآن يفسر بعضه بعضًا.

وهذا النمط من العلاقات النصية الاستدعائية هو ما التقى بمفهومه عند علماء العربية والمفسرين تحت مسمى الاقتصاص القرآني[١]. وهو نفسه الذي تداوله علماء النصية في العصر الحديث تحت مسمى «التناص»، إلاأنه يعبر عن مفهوم معين من مفاهيمه المتعددة. منها تخصيصه نصًا في كتاب تماسكت وترابطت وحداته هو النص القرآني؛ ومن ثم التقى هذا النمط بفكرة «التناص القرآني».

وهذا النمط أي: العلاقات النصية ذات الترابط الاستدعائي الداخلي أو التناص القرآني هو – كما يقول الدكتور أحمد عفيفي - «الذي يخدم نحو النص؛ لأنه يحمل خصوصية التطبيق. فبدلاً من أن تكون هذه المفاهيم والصور المطروحة بين نص حاضر ونصوص أخرى غائبة، فإن التناص المقصود هنا ينصب على النص الواحد دون نصوص أخرى»[٢].

إن هذا النمط القائم على مفهوم علمائنا السلف للقرآن الكريم من أنه يفسر بعضه بعضًا، والملتقي بمصطلح (الاقتصاص القرآني) أو (التناص القرآني)، والمطلق عليه البحث (العلاقات النصية الاستدعائية) هو المعنيُّ به البحث في الصفحات التالية.

هذا وقد انقسمت هذه العلاقات في سياق لغة النص القرآني إلى نوعين بيانهما على النحو التالي:

الأول : العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط اللفظي

والثاني: العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهوم

---

(١) راجع: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة صـ٣٩٨. وراجع: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٩٧.

(٢) د. أحمد عفيفي، اتجاه جديد في الدرس النحوي صـ٨٣.

أولاً :العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط اللفظي

****

يتحقق التماسك النصي بين آيات النص القرآني وجمله عبر نصوص السور من خلال العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط اللفظي التي تنقسم في لغة القرآن الكريم إلى نوعين:

أولهما: علاقة التشابه

والثاني: علاقة التكرار

أولاً ـ علاقة التشابه

ثمة تشابه ظاهر جلي بين آيات القرآن الكريم وجمله عبر نصوص سوره، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك. قال تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَّشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

ولعل تشابه الآيات والجمل يرجع إلى وحدة أهداف القرآن الكريم ومقاصده الشرعية، وأهمية موضوعاته، والحاجة إلى تذكير الناس الدائم بها، وترسيخ عقيدة الإسلام في نفوس الموحدين. كما أن هذا التشابه الواضح بين هذه الوحدات النصية يكشف لنا عن الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، وكذا العلاقات النصية بين وحدات وأجزاء نصه.

وعلاقة التشابه اللفظي يراد بها تشابه الآيتين أو الجملتين أو الآيات والجمل في شكل الألفاظ الواردة فيها ومعانيها مع اختلاف يسير في بعض الكلمات والحروف. وفائدة هذا النوع من العلاقات أنه يكشف عن مناسبة الآية للموضع والسياق الذي وردت فيه، فضلاً عن ذلك ما تحققه من تماسك وترابط مما يؤكد وحدة النص القرآني.

ومن النماذج الدالة على هذه العلاقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، الذي تشابه مع قوله تعالى في سورة يس: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ١٠]، وذلك بزيادة (الواو)؛ «لأن – كما يقول الكرماني -: ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم إن، وما في يس جملة

عطفت بالواو على جملة»[١].

كما تتضح – أيضًا – علاقة التشابه في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، فاختلف العلماء في (الواو) قبل قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾ هل هي عاطفة أم استئنافية؟ ومما رجحوا به كونها استئنافية[٢]، قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣]، حيث فصل هنا بين السمع والقلب من جهة، والبصر من جهة أخرى.

وتشابه قوله تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٣]، بزيادة (من) وغيرها من سورة يونس، قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [يونس: ٣٨] وذلك؛ لأن (من) تدل على التبعيض، ولما كانت هذه السورة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول (من) فيها ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخر، وغيرها من السور لو دخلها (من) لكان التحدي واقعًا على بعض السور دون بعض[٣].

ومن نماذجها – كذلك – قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦] حيث تشابه وقوله تعالى من سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]. ومن الواضح أن كلمة (البلد) في آية البقرة جاءت نكرة في حين جاءت معرفة في آية إبراهيم. وقيل في تفسير ذلك: إن (بلدًا) في البقرة إشارة إلى ﴿وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ قبل بناء الكعبة، و(البلد) في إبراهيم إشارة إليه بعد البناء[٤].

وتتضح علاقة التشابه – أيضًا - في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾

---

(١) الكرماني ، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توحيد متشابه القرآن لما فيه الحجة والبيان صـ ٦٧.

(٢) راجع: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن صـ٥٨.

(٣) انظر: الكرماني، أسرارالتكرار في القرآن صـ٦٩.

(٤) راجع: الفيروزابادي ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٤٧ تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية. بيروت.

[البقرة: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥] ؛لأن ما في البقرة إشارة إلى الحق الذي أذن الله أن تقتل النفس به، وهو قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فكان الأولى أن يذكر معرفًا؛ لأنه من الله تعالى، وما في آل عمران والنساء نكرة، أي بغير حق في معتقدهم ودينهم، فكان هذا بالتنكير أولى[١].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقال في سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، وفي سورة المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]

قال الكرماني: «لأن النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة؛ لأنهم أهل كتاب، فقدمهم في البقرة. والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان؛ لأنهم كانوا قبلهم، فقدمهم في الحج. راعى في المائدة بين المعنيين وقدمهم في اللفظ وأخرهم في التقدير؛ لأن تقديرهم والصائبون كذلك»[٢].

وتتضح – أيضًا – علاقة التشابه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠]، وقوله تعالى من سورة مريم: ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]، حيث قدم في آل عمران ذكر (الكبر) وأخر ذكر المرأة وفي مريم قدم ذكر المرأة؛ لأن في مريم قد تقدم ذكر الكبر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، وتأخر ذكر (المرأة) في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، ثم أعاد ذكرها فأخر ذكر الكبر ليوافق (عتيًا) ما بعده من الآيات وهي: ﴿ **قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا**﴾ [مريم: ١٠]، و قوله: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ**

(١) راجع الكرماني، أسرار التكرار صـ ٧٤ - ٧٥.
(٢) المرجع السابق صـ ٧٥.

﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، وقوله: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢][(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، تشابه مع قوله تعالى من سورة مريم: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [مريم: ٢٠]؛ لأن في سورة آل عمران تقدم ذكر المسيح، وهو ولدها حيث قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وفي مريم ذكر الغلام؛ حيث قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩][(٢)].

وفي سورة الأنعام يتشابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ١٩٥]، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وفي سورة يونس: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١]، وفي الروم: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: ١٩].

وفي سورة الأنعام والشعراء تشابه بين السين وسوف، حيث قال تعال في الأولى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٥]، وفي الثانية: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الشعراء: ٦].

قال صاحب البرهان في توجيه متشابه القرآن: «لأن سورة الأنعام متقدمة فقيد التكذيب بقوله: ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ثم قال: «فسوف يأتيهم على التمام، وذكر في الشعراء فقد كذبوا مطلقًا؛ لأن تقييده في هذه السورة (الأنعام) يدل عليه ثم اقتصر على السين هنا بدل سوف ليتفق اللفظان فيه على الاختصار»[(٣)].

وفي سورة المائدة تشابه قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ [المائدة: ٢٠]، وقوله تعالى من سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [إبراهيم: ٦].

---

(١) انظر: الكرماني، أسرار التكرار صـ٨٩.

(٢) المصدر السابق صـ ٨٩.

(٣) انظر:المصدر السابق صـ١٠٤.

كما يتضح علاقة التشابه بين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وقوله من سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، حيث تم الاستغناء بالضمير في قوله (رأوك) عن الموصول وصلته في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[(١)].

وفي قوله تعالى من سورة الرعد: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ [الرعد: ١٨]، تشابه وقوله تعالى من سورة المائدة: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٣٦].

وجمعت علاقة التشابه – أيضًا – بين قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥]، وقوله تعالى من سورة مريم: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

وفي سورة الأنبياء جمعت علاقة التشابه ووصلت بين قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقوله تعالى من سورة الشعراء: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥].

وتتضح علاقة التشابه أيضًا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [النمل: ٦٨].

وتشابه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ﴾ [النمل: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن **شَاءَ اللهُ**﴾ [الزمر: ٦٨]، قال الكرماني: «خصت هذه السورة – النمل – بقوله: (ففزع) موافقة لقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، وخصت الزمر بقوله: (فصعق) موافقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]؛ لأن معناه (الموت)»[(٢)].

وتتضح علاقة التشابه في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾

---

(١) راجع: الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز ١/ ٣٢٠.

(٢) الكرماني، أسرار التكرار صـ١٩٣.

[العنكبوت: ٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، تشابه مع قوله تعالى: ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

كما تتضح العلاقة – أيضًا – في قوله سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٣].

وتتضح – أيضًا – علاقة التشابه فيما كان بين السور من مناسبة بين فواتحها، وبين خواتمها، وبين خواتمها وفواتح ما يليها.

وفواتح سورة - القرآن الكريم ليست واحدة، بل لها أنواع كثيرة «أفردها بالتأليف ابن أبي الإصبع في كتاب سماه (الخواطر السوانح في أسرار (الفواتح))»[1]، وقد لخصها عنه السيوطي مع زوائد من غيره على حد تعبيره. ويمكن للبحث بيان هذه الأنواع في الجدول التالي:

(١) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٣١٦إلى ٣١٩.

م	النوع	عدد السور	أسماء السور
١	الثناء على الله وذلك بالمصدر والمضارع والأمر	١٤	الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر، الفرقان، الملك، الإسراء، الصف، الحديد، الحشر، الجمعة، التغابن، الأعلى.
٢	حروف التهجي	٢٩	البقرة، آل عمران، الأعراف، يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر، مريم، طه، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، يس، ص، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، القلم.
٣	النداء	١٠	الأحزاب، الطلاق، التحريم، المزمل، المدثر، النساء المائدة، الحج، الحجرات، الممتحنة.
٤	الجمل الخبرية	٢٣	الأنفال، التوبة، النحل، الأنبياء، المؤمنون، النور، الزمر، محمد، الفتح، القمر، الرحمن، المجادلة، الحاقة، المعارج، نوح، القيامة، البلد، عبس، القدر، البينة، القارعة، التكاثر، الكوثر.
٥	القسم	١٥	الصافات، البروج، الطارق، النجم، الفجر، الليل، الضحى، العصر، الذاريات المرسلات، الطور، التين، النازعات، العاديات، الشمس.
٦	الشرط	٧	الواقعة، المنافقون، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة، النصر.
٧	الأمر	٦	الحق، اقرأ، الكافرون، الإخلاص، القلق، الناس.
٨	الاستفهام	٦	النبأ، الغاشية، الشرح، الفيل، الماعون، الإنسان.
٩	الدعاء	٣	المطففين، الهمزة، المسد.
١٠	التعليل	١	قريش

ومن الواضح أن هذا التشابه الكائن فواتح السورة يؤكد مدى ترابط وتماسك لغة النص القرآني، حيث جاءت المجموعات الواردة في الجدول السالف الذكر تؤكد هذا التماسك.

فالسور الخمس الأولى – مثلاً – التي تبدأ بالثناء (الحمد) تجمع بين فواتحها وحدة دلالية تتمثل في الحمد فضلاً عن اللفظة ذاتها التي يتشابه بها كل مطلع من مطالع هذه السور مع غيره. قال تعالى:

﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١].

﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ١].

﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً﴾ [فاطر: ١].

ومن المناسبات اللطيفة في هذه السور ما ذكره السيوطي من «أن كل ربع من القرآن افتتح بسورة أولها الحمد، فالفاتحة الربع الأول، والأنعام الثاني، والكهف الثالث، وسبأ وفاطر الربع الرابع»[1].

ولعل ما ذكر السيوطي يؤكد أن التماسك أو الترابط قائم بين هذه الأقسام الأربعة التي تمثل القرآن الكريم كله.

وهكذا يكون التماسك موجودًا وقائمًا بين سور كل مجموعة من مجموعات الجدول السالف الذكر.

وكما كان التماسك والترابط بين فواتح السور، فكذلك الأمر بين خواتمها، حيث تلعب علاقة التكرار دورًا فاعلاً. وتوضيح ذلك أننا نجد أن بعض سور القرآن الكريم قد انتهت بآية أو جملة واحدة، كما هو الحال في سورتي الواقعة والحاقة، فكل منها تنتهي بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، وكل منهما تتفق في المقام الذي وردت فيه، كما أنها تتفق – أيضًا – في الغرض الذي وردت من أجله، وهو الرد على المشركين والكفار المكذبين بالقرآن الكريم، وإثبات أن القرآن الكريم من عند الله العلي العظيم، وأنه ليس إلا تنزيلاً من رب العالمين.

ففي سورة الواقعة يبدأ الله – تبارك وتعالى – الرد على هؤلاء المكذبين الضالين بإثبات أن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين فيقول: ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ

(١) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور صـ١٠٠.

{٧٥} وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ {٧٦} إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ {٧٧} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ {٧٨} لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ {٧٩} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٨٠}﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٠]، ثم ينفي مزاعم هؤلاء من ضلال الاستفهام الاستنكاري، فيقول تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُم مُّدْهِنُونَ {٨١} وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ {٨٢}﴾ [الواقعة: ٨١، ٨٢]، ثم بيان أصناف الناس يوم القيامة، ثم يختم السورة بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦].

وفي سورة الحاقة يبدأ الله – تبارك وتعالى- الرد على هؤلاء المكذبين الضالين فيقسم أن القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين، قال تعالى: ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ {٣٨} وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ {٣٩} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {٤٠} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ {٤١} وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ {٤٢} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٤٣}﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٣]، ثم يعلن كذبهم إعلانًا، فيقول: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ [الحاقة: ٤٩]، ويختم السورة بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ {٥١} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ {٥٢}﴾ [الحاقة: ٥١، ٥٢].

وهكذا اتفقت الآيتان في الألفاظ والمعاني، والنظم، والغرض، وكذا في المقام، ومن ثم تبين لنا مدى أهمية هذه العلاقة في تماسك وترابط الوحدات النصية في السورتين، وبخاصة الخاتمة.

وتتضح – أيضًا – علاقة التشابه في الربط بين فواتح وخواتيم السور، وهو ما يمكن أن نطلق عليه تشابه الأطراف. يقول عنه السيوطي: «وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من البديع»[(١)].

وتشابه الأطراف – في عمل الإمام السيوطي – يعني اشتراك أول السورة مع خاتمة ما قبلها في الدلالة على الموضوع فضلاً عن التشابه اللفظي القائم بين فواتح وخواتم وحدات النص القرآني.

ومن النماذج الدالة على هذه العلاقة قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، حيث ختمت بالأمر بالتقوى، وبدئت به سورة النساء[(٢)]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي**

(١) السيوطي ، تناسق الدرر صـ ٦٢.

(٢) انظر: السيوطي، تناسق الدرر صـ ٧٦.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ....﴾ [النساء: ١].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، حيث ختمت السورة الكريمة بوصف الكتاب، حيث وصفه بالحق، وافتتحت سورة الرعد بمثل ذلك، قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١] (١).

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، حيث ختمت بالتحميد وافتتحت الكهف بالتحميد أيضًا، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] (٢).

إلى غير ذلك من النماذج الدالة على هذه العلاقة في لغة القرآن الكريم، وقد تبين لنا مدى دورها في تماسك وترابط لغة النص القرآني.

ثانيًا: علاقة التكرار

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط اللفظي علاقة التكرار، وتبدو هذه العلاقة واضحة في تكرار القصة التي تدور حول نبي من أنبياء الله؛ إذ القرآن الكريم به قصص كثيرة غير الأنبياء، وقد ركز البحث – هنا – حديثه حول قصص الأنبياء؛ لأن القصص الخاص بهم هو الذي يتكرر ذكره في الغالب، في حين أن القصص الأخرى مثل أصحاب الكهف، وذي القرنين.. وغيرهما لم يذكر إلا مرة واحدة على الأكثر، ومن ثم فلا جدوى لذكر مثل هذا القصص ضمن النماذج المرصودة؛ إذ الهدف هو إبراز وظيفة التكرار ودوره – من خلال القصة المكررة – في تحقيق التماسك والترابط النصي بين وحدات النص القرآني.

وتكرار القصة لابد أن يكون له فائدة؛ «فليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره،

---

(١) انظر: السابق صـ ٩٥.

(٢) انظر: السابق صـ ٩٩.

فإن رأيت شيئًا منه تكرر من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه تتكشف لك الفائدة منه»[١].

والقصة المكررة في لغة القرآن الكريم تأتي على صور شتى بين الإيجاز والإطناب والبسط والاختصار.

والمتتبع لقصص الأنبياء في لغة النص القرآني يجد أن قصة نبي الله موسى عليه السلام من أكثر القصص ورودًا، والملاحظ أن الذي تكرر تكررًا تامًا هو اسم موسى عليه السلام، أما ما يخص قصته، فإن ما ذكر في هذه السور هو مواقف متعددة تمثل في النهاية قصة كاملة. ومن ثم فالقول بتكرار القصة نفسها أكثر من مرة ليس مطلقًا، بل الغالب عدم تكرار القصة الواحدة. غير أن الذي يجمع بين هذه المواقف كلها أنها تدور حول شخص نبي الله (موسى)، وما تعرض له من أحداث. وهذه المواقف – في مجملها – تكون القصة الكاملة لموسى عليه السلام.

وما يقال في قصة موسى عليه السلام يقال – أيضًا – في أي قصة أخرى، ولكن مع اختلاف وتباين نسبة التكرار وعدد مرات الورود.

ومن هنا يبرز عنصر التماسك والترابط النصي بين هذه النصوص المكونة للقصة الواحدة، فهي تقسم إلى عدة حلقات، تعرض كل منها في سورة أو أكثر، مع اختلاف الأسلوب بما يتلاءم مع جو كل سورة وهدفها.

ومن نماذج علاقة التكرار القصصي بين الوحدات النصية للسور قصة خلق آدم عليه السلام، حيث وردت في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة: ٣٠-٣٩].

وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وفي سورة النساء قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

(١) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٣/ ٨ قدمه وعلق عليه، د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة.

وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

كما قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وفي سورة الأعراف – أيضًا – قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {١١}....﴾ [الأعراف: ١١ - ٢٥].

وقال تعالى في سور طه: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه: ٥٥].

وقال – أيضًا - في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا {١١٥}.....﴾ [طه: ١١٥ - ١٢٦].

وفي سورة الكهف قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[الكهف:٥٠].

وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا {٦١} ....﴾ [الإسراء: ٦١ - ٦٥].

وفي سورة الحجر قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {٢٦} وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ {٢٧} وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {٢٨}...﴾ [الحجر: ٢٦ - ٤٤].

وقال تعالى في سورة ص: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ {٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {٧٢} ....﴾ [ص: ٧١ - ٨٨].

ومن نماذج علاقة التكرار في القصص القرآني بين الوحدات النصية في لغة القرآن الكريم قصة نوح التي تكررت في اثنين وعشرين موضعا من سور النص القرآني.

ففي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم

مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {٥٩}﴾ [الأعراف: ٥٩ - ٦٤].

وفي سورة يونس قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ....﴾ [يونس: ٧١ - ٧٣].

وقال تعالى في سورة هود: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {٢٥} ....﴾ [هود: ٢٥ - ٤٩].

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦} ...﴾ [الأنبياء: ٧٦ - ٧٧].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ {١٠٥} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ {١٠٦} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٠٧} ....﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٢٢].

وفي سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ {١٤} فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ {١٥}﴾ [العنكبوت: ١٤ - ١٥].

وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ {٧٥} وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦} وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ {٧٧} ....﴾ [الصافات: ٧٥ - ٨٢].

وفي سورة القمر قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ...﴾ [القمر: ٩ - ١٧].

وذكرت القصة بتمامها في سورة نوح قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {١} ...﴾ [نوح: ١ إلى آخرها].

كما جرى ذكر قصته – أيضًا – في مواضع متفرقة من القرآن فيها مدحه وذم من خالفه.

ففي سورة النساء قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ....﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {٨٣} وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ ..﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٤].

وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

وفي سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا{٧} ﴾ [الأحزاب: ٧].

وقال تعالى في سورة ص: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ﴾ [ص: ١٢].

وفي سورة غافر قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ....﴾ [غافر: ٥، ٦].

وفي سورة الشورى قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ {١٣} ...﴾ [الشورى: ١٣].

و في (ق) قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ {١٢}....﴾[ق: ١٢ - ١٤].

وفي الذاريات قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ{٤٦}﴾ [الذاريات: ٤٦].

وقال تعالى في النجم: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى{٥٢} ﴾ [النجم: ٥٢].

وفي الحديد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ {٢٦}﴾ [الحديد: ٢٦].

وقال سبحانه في سورة التحريم: ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا .....﴾ [التحريم: ١٠].

ومن نماذج علاقة الاستدعاء ذات الترابط اللفظي عبر التكرار القصصي ـ أيضا ـ تكرارُ قصة هود عليه السلام ، فقد وردت في اثنتي عشرة سورة من سورة النص القرآني.

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ {٦٥} ....﴾ [الأعراف: ٦٥ - ٧٢].

وقال تعالى في سورة هود بعد ذكر قصة نوح: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ {٥٠} ...﴾ [هود: ٥٠ - ٦٠].

وفي المؤمنون بعد قصة نوح – أيضًا – قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ {٣١} فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ {٣٢}...﴾[المؤمنون: ٣١ - ٤١].

وذكر قصة – أيضًا - في سورة الشعراء بعد ذكر قصة نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ {١٢٣} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ {١٢٤} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ

أَمِينٌ {١٢٥} ...﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٤٠].

وقال تعالى في الأحقاف:﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {٢١} ...﴾ [الأحقاف: ٢١ - ٢٥]

وقبل سورة الأحقاف قال تعالى في سورة فصلت: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {١٥}....﴾ [فصلت: ١٥، ١٦].

وقال تعالى في سورة الذاريات: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ {٤١} مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ {٤٢}﴾ [الذاريات: ٤١- ٤٢].

وفي النجم قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى {٥٠} وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى {٥١}﴾ [النجم: ٥٠، ٥١].

وقال تعالى في سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ{١٨} ...﴾ [القمر: ١٨ - ٢٢].

وفي سورة الحاقة قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ {٦}....﴾ [الحاقة: ٦ -٨].

وقال تعالى في سورة الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ {٦} إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ {٧} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ {٨}﴾ [الفجر: ٦ - ٨].

ومن نماذج علاقة التكرار القصصي – أيضًا – في لغة القرآن الكريم قصة صالح التي وردت في (سورة الأعراف: ٧٣- ٧٩)، وسورة (هود: ٦١- ٦٧)، وسورة (الحجر: ٧٠- ٨٤)، و(الإسراء: ١٥٩)، و(الشعراء: ١٤١- ١٥٩)، و(فصلت: ١٧- ١٨)، و(القمر: ٢٣- ٣٢)، و(الشمس: ١١- ١٥).

وكثيرًا ما يقرن الله تعالى في كتابه بين ذكر عاد وثمود كما في سورة (التوبة: ٧٠)، و(إبراهيم: ٩)، و(الفرقان: ٣٨)، و(الحج: ٤٢)، و(غافر: ٣١)، و(النجم: ٥٠- ٥١)، و(الفجر: ٨- ٩).

ومن نماذج علاقة الاستدعاء اللفظي من خلال التكرار القصصي قصة نبي الله ـ تعالى ـ إبراهيم عليه السلام التي وردت على صور شتى في ثلاث وعشرين سورة. وقصة نبي الله تعالى لوط التي وردت في تسع سور من سور النص القرآني. وقصة نبي الله تعالى شعيب التي وردت في أربعة مواضع من السور القرآنية. إلى غير ذلك من القصص مما يؤكد أهمية هذه العلاقة في تماسك وترابط وحدات لغة النص القرآني.

***

ثانيا :العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي

****

تناول هذا المبحث – فيما مضى من صفحات – تحت عنوان العلاقات النصية الاستدعائية – العلاقات النصية ذات الترابط اللفظي، وهو النوع الأول منها، وفي الصفحات التالية يبقى على البحث بيان النوع الثاني، وهو – حسب التقسيم المنعقد في مقدمة المبحث – العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي.

والعلاقات النصية الاستدعائية في هذا النوع من الترابط لا تأتي هباء، ولكنها تأتي لأغراض ومقاصد متعددة.

فمن هذه العلاقات ما يفصل المجمل، ومنها ما يوضح المبهم، ومنها ما يدفع المشكل، ومنها ما يعلل المعلل، ومنها ما يجمع المتفرق، ومنها ما يستكمل المحذوف، ومنها ما يتم أخبارًا، ومنها ما يحقق وعدًا أو وعيدًا، ومنها ما يحدد الإطار الزمني للحدث، ومنها ما يقابل أخبارًا.

كل ذلك يمكن تحققه عبر شبكة العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي، التي بها ومن خلال علاقاتها تتماسك وتترابط وحدات النص القرآني سورًا وأجزاء من سور. وكل ذلك – لاشك – يؤكد مقولة علمائنا السلف منهم والخلف: «القرآن يفسر بعضه بعضًا».

ولا يبقى – إن شاء الله تعالى – على البحث إلا أن يعرض هذه العلاقات مشفوعة بنماذج وأمثلة مرصودة في لغة القرآن الكريم.

-علاقة التفصيل – الإجمال

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي علاقة التفصيل. ومفهومها أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سورة من سور النص القرآني مجملاً فتأتي آية أو جملة أو أكثر في سورة أخرى وتفصل ما أجمل.

ومن أبرز هذه النماذج الدالة على هذه العلاقة (الإجمال والتفصيل) ما كان بين سورة الفاتحة، وبقية سور القرآن الكريم. فيذكر الإمام الرازي أن «الفاتحة»: «مسماة بأم القرآن، فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه. فهذه

السورة جامعة لجميع المقامات المعتبرة في معرفة الربوبية إلى قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، ومعرفة العبودية التي تبدأ من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] (١).

ويذكر القرطبي في تفسيره: أن: «جميع القرآن فيها.. وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت علوم القرآن.. وبهذا.. صارت أم القرآن العظيم ففيها التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير» (٢).

وربط الإمام السيوطي في الإتقان بينها وبين براعة الاستهلال وذكر أن فيها جميع مقاصد القرآن؛ «علم الأصول.. ﴿ **رَبِّ الْعَالَمِينَ** {٢} الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ{٣}﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣]، ومعرفة النبوات.. ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومعرفة المعادبـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وعلم العبادات... ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وعلم السلوك... ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.. وعلم القصص.. ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال» (٣).

ومن النماذج الدالة على تفصيل ما أجمل في سورة الفاتحة قوله تعالى في سورة الانفطار: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ {١٧} ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ {١٨} **يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله** {١٩}﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٩] ، حيث جاءت الثلاثة مفصلة قوله تعالى المجمل في سورة الفاتحة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] (٤).

وجاء قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، تفصيلاً لقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] (٥).

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا

---

(١) الرازي ، التفسير الكبير ١/ ٢٢٧، وصـ ٣٢٧بتصرف.

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ١/ ٩٦.

(٣) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٣١٨ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.دار التراث القاهرة. د. ت.

(٤) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ١/ ٤٩.

(٥) الشنقيطي، أضواء البيان ١/ ٥١.

لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]، حيث جاء تفصيلاً لقوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢][(١)].

ومن أمثلتها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، الذي جاء تفصيله في سورة الأعراف قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦][(٢)].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، إلى قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

حيث جاءت الآيات في سورة يونس من (٩٠: ٩٢) تفصيلاً لقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

حيث جاء قوله تعالى من الآية (٢) إلى الآية (٤) تفصيلاً لما أُجمل في الآية (١٠٥) من سورة يوسف: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[(٣)].

ومن ذلك – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ [الرعد: ٣٢].

حيث أجمل في أربعة مواضع: الرسل، والمستهزئين، وصفة الاستهزاء، والأخذ،

---

(١) راجع السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور صـ١٠١.

(٢) المصدر السابق صـ١٠٢.

(٣) راجع السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور صـ ١٠٩ وما بعدها.

وقد فصلت الأربعة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ {٩} قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {١٠} قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {١١} وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ {١٢} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ {١٣} **وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** {١٤}﴾ [سورة إبراهيم الآيات من ٩: ١٤][(١)].

وتتضح هذه العلاقة – أيضًا – في القصص القرآني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١] حيث جاء تفصيله في سورة طه من الآية (٨٣) إلى الآية (٩٨) قال تعالى: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى {٨٣} قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى {٨٤}..... وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا {٨٣} إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا{٨٤}.....﴾ [سورة طه الآيات ٨٣ - ٩٨].

و ذلك – أيضًا – قوله تعالى: ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٥٠]، الذي جاء مجملاً، تفصيله في سورة الشعراء قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ {٦٠} فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ {٦١} قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ {٦٢} فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ {٦٣} وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ {٦٤} وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ {٦٥} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ {٦٦}﴾ [الشعراء: ٦٠ - ٦٦].

من ذلك – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ

---

(١) المصدر السابق صـ ١١٠.

مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]، حيث جاء مجملاً تفصيله قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، ويوضح الزمخشري هذه العلاقة قائلاً: «ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا»[1] أي في الأعراف.

ومن ذلك – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤]، إذ فيه تلميح إلى قصة قتل موسى عليه السلام للقبطي الذي ذكرت في (القصص) وتفصيلها: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

ومنه – أيضًا - قوله تعالى: ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]. حيث جاء قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ إجمالاً، تفصيله قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ومنه – أيضًا – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ {١١٤} وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {١١٥} وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبُونَ {١١٦} وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ {١١٧} وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ{١١٨}﴾ [الصافات: ١١٤ - ١١٨]، حيث جاء مجملاً ورد تفصيله في سورة طه قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي {٢٥} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي {٢٦} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي {٢٧} يَفْقَهُوا قَوْلِي {٢٨} وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي {٢٩} هَارُونَ أَخِي {٣٠} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي {٣١} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي {٣٢} كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا {٣٣} وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا {٣٤} إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا {٣٥} قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى {٣٦} وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى{٣٧} .....﴾ [طه: الآيات ٢٥: ٣٩].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ٣]، حيث جاء تفصيلاً لما أجمل في مطلع سورة البقرة قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ويوضح السيوطي هذه العلاقة

---

(١) الزمخشري، الكشاف ٢/ ١١١.

قائلاً: «وذاك (أي ما جاء في آل عمران) بسط وإطناب لنفي الريب عنه (أي الكتاب)»[١].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٣]، حيث جاء مجملاً، تفصيله مقسمًا في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧][٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، الذي جاء تفصيلاً لمجمل قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]؛ لأن هذه لما نزلت لم يفهم مرادها[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، حيث جاء مجملاً تفصيله قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١٢][٤].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ**﴾ [الفرقان: ٦٠] جاء قوله: ﴿**وَمَا الرَّحْمَنُ**﴾؟ مجملاً في سورة استفهام تفصيله سورة الرحمن، قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ {١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ {٢}**﴾ [الرحمن: ١ - ٢][٥].

إلى غير ذلك من النماذج الدالة على هذه العلاقة. وقد تبين لنا مدى أهمية هذه العلاقة في ربط ووصل لغة النص القرآني.

- علاقة التوضيح

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي علاقة التوضيح.

---

(١) السيوطي، تناسق الدرر صـ٧٠.

(٢) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ١/ ٣١٨.

(٣) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٩١.

(٤) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٩٢.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٩٣.

ومقصودها: أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سورة من سور النص القرآني مبهمًا يحتاج إلى توضيح، فتأتي آية أو جملة أو أكثر في سورة أخرى وتوضح هذا الإبهام.

ومن النماذج الدالة على هذه العلاقة قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، حيث جاء اسم الجنس المجموع ﴿كَلِمَاتٍ﴾ مبهمًا، جاء توضيحه في سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣][(١)].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف : ١٣٧]. حيث جاء اسم الجنس المفرد **(كَلِمَةً)** مبهمة؛ جاء توضيحها في سورة القصص قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥][(٢)].

ومن الأمثلة الدالة – أيضًا – قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. فقد جاء قوله تعالى: ﴿أَشُدَّهُ﴾ مبهمًا جاء تفصيله في قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]. فالأشد في شأن اليتيم هو بلوغ النكاح[(٣)].

ومن أمثلتها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ {٢٣} وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ {٢٤}﴾ [الحج: ٢٣ - ٢٤]، فجاء قوله: ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ مبهمًا توضيحه في سورة فاطر، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤] فكان هذا هو القول الطيب الذي هدوا إليه.

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨]، حيث ذكر تعالى أن موسى نزع يده فإذا هي بيضاء، ولم يوضح ذلك البياض من أنه خال من البرص، فوضح هذا الإبهام في سورة النمل قال تعالى:

---

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ١/ ١٣.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٣.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٤.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ٢٢]، وسورة القصص: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [القصص: ٣٢][(١)].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فلم تبين – هنا – ﴿القوم﴾، ولكنه تعالى صرح ووضح في سورة الشعراء أن القوم هم بنو إسرائيل. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩][(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨]، لم يُوضح ما سُئله موسى، واتضح ذلك في سورة النساء: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣][(٣)].

من ذلك – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [العنكبوت: ٣٩]. حيث لم يبين ويوضح في السورتين هذه الآيات. وجاء توضيحها في سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وقوله: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ {١٠٧} وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ {١٠٨}﴾ [الأعراف: ١٠٧ - ١٠٨]، وقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] إلى غير ذلك من الآيات[(٤)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١]، حيث قوله: ﴿مُخْلَصًا﴾ مبهمًا جاء توضحه في سورة الأعراف؛ قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، حيث

---

(١) انظر الشنقيطي، أضواء البيان ٢/ ٣٨٨.

(٢) انظر: السابق ٢/ ٣٩٠.

(٣) انظر: السابق ١/ ٩٩.

(٤) انظر: السابق ٣/ ٩٦.

وضحت الآية معنى قوله ﴿مُخْلَصًا﴾، والمعنى استخلصه واصطفاه[١].

ومن ذلك – أيضًا – قوله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام مخاطبًا قوم فرعون: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٨] حيث لم يُوضح المقصود بـ«عِبَادَ اللهِ» فجاء توضيحه في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: ٤٧]

وقوله: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١١٦} أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ {١١٧}﴾ [الشعراء: ١٦ - ١٧]. إذ توضح هذه الآيات وغيرها أن المقصود بـ﴿عِبَادَ اللهِ﴾ في آية الدخان هم بنو إسرائيل[٢].

وفي قوله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، فقد جاء قوله ﴿دِينَهُمُ﴾ مبهمًا توضيحه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ﴾ [النجم: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، حيث المراد بـ(الدين) هنا الجزاء ودليله ما ورد في سورة النجم وآل عمران[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، فقد جاء قوله تعالى: ﴿يَظْلِم﴾ مبهمًا يحتاج إلى توضيح. وجاء قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] – إلى غير ذلك من الآيات – يوضح أن (يظلم) يراد به الشرك. قال ابن كثير: «﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أي: يشرك بالله[٤]، وقال ابن عباس ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾: ومن يشرك منكم، ثم مات عليه»[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]. حيث جاء قوله: ﴿الأَنْفَالِ﴾ مبهمًا يحتاج إلى توضيح. وجاء قوله تعالى ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللهُ

---

(١) انظر الشنقيطي، أضواء البيان ٤/ ٣٦٤.

(٢) انظر: السابق ٧/ ٣٤٤وما بعدها .

(٣) انظر: السابق ٦/ ١٨٦.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٠٠.

(٥) القرطبي،الجامع لأحكام القرآن الكريم ٧/ ٤٧٢٨.

عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]، يوضحه؛ «إذ المراد بها خصوص ما شذّ عن الكافرين إلى المؤمنين، وأخذ بغير حرب كالفرس، والبعير يذهب من الكافرين إلى المسلمين، وعلى هذا التفسير فالمراد بالأنفال هو المسمى عند الفقهاء (فيئا)» (١).

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة الدالة على هذه العلاقة في لغة القرآن الكريم، وقد تبين لنا مدى أهميتها ودورها في تماسك وترابط وحدات النص القرآني.

- علاقة دفع الإيهام

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي علاقة دفع الإيهام، والمراد بها: أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سورة ما (مُوهِمًا) فتأتي آية أو جملة في سورة أخرى وتدفع هذا الإيهام.

ومن نماذجها في لغة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

فهذه الآية تدل بظاهرها إيهامًا أنهم مجبرون؛ لأن من ختم على قلبه وجعلت الغشاوة على بصره سلبت منه القدرة على الإيمان. وقد جاءت آيات أخرى تدفع هذا الإيهام، وتدل على أن كفرهم واقع بمشيئتهم وإرادتهم كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥١] (٢).

ومن ذلك – أيضًا – قوله تعالى: ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ [النساء: ١٥].

فظاهر الآية الكريمة يدل إيهامًا أن الزانية لا تجلد بل تحبس إلى الموت أو إلى جعل

---

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٢/ ٤٠٥.

(٢) انظر الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب صـ٣، دار ابن عفان ، المملكة السعودية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

الله لها سبيلاً. وقد جاء في آية أخرى ما يدفع هذا الإيهام، وتدل على أنها لا تحبس بل تجلد مائة جلدة. قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، وجاء في آية منسوخة التلاوة باقية الحكم أنها إن كانت مُحصنة تُرجم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

فما ورد في قوليه تعالى يوهم أن إنذاره ﷺ مخصوص بأم القرى وما يقرب منها دون النائية عنها بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾. وقد جاءت آيات أخر تدفع هذا الإيهام وتصرح بعموم إنذاره ﷺ لجميع الناس كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨][٢].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

فهذه الآية تدل بظاهرها إيهامًا على أن المكره على الكفر لا يفلح أبدًا. وقد جاءت آية أخرى تدفع هذا الإيهام، وتدل على أن المكره على الكفر معذور إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦][٣].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]، إيهام أن الجنات فيها نهر واحد. وقد جاءت آخرى تدفع هذا الإيهام، وتدل على تعدد الأنهار مع تعدد أنواعها، قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

---

(١) الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب صـ ٢١.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٥١.

(٣) انظر: الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب صـ٥٥.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، إيهام أن بني إسرائيل مفضلون أبدًا على غيرهم، وجاء قوله تعالى من سورة آل عمران يدفع هذا الإيهام، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي قوله تعالى: ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، هذه الآية توهم أن اتخاذ الكفار أولياء إذا لم يكن من دون المؤمنين لا بأس به بدليل ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وقد جاءت آيات أخر تدفع هذا الإيهام وتدل على منع اتخاذهم أولياء مطلقًا، منها قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [النساء: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤].

وفي قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، فيوهم ظاهر الآيتين أن بعض المخلوقين ربما خلق بعضهم. وقد جاءت آيات أخر تدفع هذا الإيهام، وتدل على أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء. قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

فهذه الآية يفهم من ظاهرها إيهامًا أن الرسل لا يشهدون يوم القيامة، وقد جاء في آيات أخر ما يدفع هذا الإيهام وتدل على أنهم يشهدون على أممهم كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاَءِ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤] إلى غير ذلك من الآيات.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، فقوله

تعالى يدل ظاهره أن الكفار يبعثون يوم القيامة عميًا وبكمًا وصمًا. وقد جاءت آيات أخر تدفع هذا الإيهام، ومنها قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، وكقوله: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢].

قال أبو حبان يوجه هذا الإيهام: «والظاهر أن قوله (عميًا وبكمًا وصمًا) هو حقيقة؛ وذلك عن قيامهم من قبورهم ثم يرد الله إليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم»[(١)].

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة الدالة على هذه العلاقة، وقد ثبت مدى دورها في ربط وتماسك وحدات النص القرآني.

- (علاقة السببية) أو التعليل

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي علاقة السببية أو التعليل، والمراد بها: أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سورة ما قد ورد دون ذكر سبب أو علة له، فتأتي آية أو جملة في سورة أخرى وتبين العلة أو السبب لما ورد في الآيات والجمل.

ومن النماذج الدالة على هذه العلاقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، ففي قوله تعالى – هنا – لم يبين سبب قسوة قلوبهم ولكنه أشار إلى علة ذلك وسببه في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] ، وقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦][(٢)].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، حيث لم تبين الآية – هنا – سبب اضطراره ولكنه في موضع آخر بين السبب، وهو الجوع أو المخمصة. قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣][(٣)].

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط ٧/ ١١٥.

(٢) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ١/ ٩٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ١/ ١٢٥.

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، لم تبين الآية – هنا – سبب فقرهم، وفي سورة الحشر بين قوله تعالى أن سبب فقرهم هو إخراج الكفار لهم من ديارهم وأموالهم(١). قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨].

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣]، لم يبين – هنا – سبب عفوه عنهم ذنب اتخاذ العجل إلهًا، ولكنه بينه في سورة البقرة(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]. حيث لم تبين – هنا – الآية سبب النهي.. وفي موضع آخر كان النهي مبينًا سببه(٣)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [المائدة: ٥٣]، حيث لم يرد في الآية – هنا – سبب حلفهم بالكذب للمسلمين وإنما ورد ذلك السبب في موضع آخر مبينًا أن السبب هو (الفرق) أي الخوف(٤)، قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُم مِّنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ {٥٦} لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ {٥٧}﴾ [التوبة: ٥٦ - ٥٧].

وبين الله ـ تعالى ـ في موضع آخر أنهم يريدون بأيمانهم إرضاء المؤمنين. وإن الله ورسوله أحق بالإرضاء. قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ

---

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ٢٦٩.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/ ٥٠٨.

(٣) انظر: المصدر السابق٢/ ١٣٢.

(٤) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٢/ ١٣٤.

أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]، فلم تبين الآية – هنا – في قوله تعالى سبب وعلة مساءته، وكونه ضاق بهم ذرعًا، وقال هذا يوم عصب، أنه ظن أنهم ضيوف من بنى آدم - كما ظن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام - وظن أن قومه ينتهكون حرمة ضيوفه فيفعلون بهم الفاحشة[١].

وجاء في مواضع أخرى سبب مساءته وضيقه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ [هود: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ {٦٧} قَالَ إِنَّ هَؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ {٦٨} وَاتَّقُوا اللهَ وَلاَ تُخْزُونِ {٦٩}﴾ [الحجر: ٦٧، ٦٩].

وفي قوله تعالى: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤]، فلم بتين – هنا – الآية سبب وعلة الاستغفار، وقد بينه الله تعالى في مواضع أخر[٢]، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادئ دعوته حينما قال له أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا {٤٦} قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا {٤٧}﴾ [مريم: ٤٦ - ٤٧].

ومن نماذجها – أيضًا – في لغة النص القرآني أن تقع سورة بأكملها موقع العلة لما قلبها. من ذلك مثلاً أن سورة البينة – كما يذكر السيوطي – واقعة موقع العلة لسورة القدر قبلها، كأنه لما قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، قيل: لم أنزل؟ قيل: لأنه ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١][٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق ٣/ ٣٨ - ٣٩.

(٢) انظر: المصدر السابق ٨/ ١٣٩ - ١٤٠.

(٣) انظر: السيوطي، تناسق الدرر صـ ١٤١.

ومن ذلك – أيضًا – أن أول سور الحديد واقع موقع العلة للأمر بالتسبيح في آخر سورة الواقعة؛ وكأنه قيل: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]؛ لأنه ﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد: ١][(١)]، إلى غير ذلك من النماذج الدالة على هذه العلاقة في لغة النص القرآني.

وهكذا يتضح مدى دور علاقة السببية أو التعليل في ربط أجزاء ووحدات النص القرآني سورًا أو أجزاء من سور.

- علاقة التجميع الموضوعي

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي علاقة التجميع الموضوعي، والمقصود بها: أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سور متفرقة من سور النص القرآني، يتحدث عن قصة من القصص أو موضوع من الموضوعات، فتأتي علاقة التجميع وتجمع ما تشتت من أحداث القصة،أو متفرقات الموضوع. ومن ثم يكون لدينا قصة كاملة مجمعة بأحداث تكوينها أو موضوع مجمع بعناصر أفكاره.

وبالطبع لن يسع المقام – هنا – لتحليل وتجميع القصص الوارد في القرآن كله، وكذا الموضوعات التي جاءت بها لغة القرآن، وهي – كما هو معروف بين – كثيرة، لكن سوف يحاول البحث تجميع قصة من القصص المتفرقة أحداثها، وموضوعًا من الموضوعات المنتشرة عناصره في السور.

كل ذلك؛ كي تتضح هذه العلاقة بدورها الفاعل في ربط وتماسك وحدات النص القرآني سورًا وأجزاء من سور.

هذا، فإذا اتجه البحث إلى الحديث عن القصة في القرآن الكريم فإننا نجد أن أكثر الأنبياء ذكرًا في لغة القرآن الكريم هو نبي اله موسى عليه السلام؛ إذ ورد في مائة وستة وثلاثين موضعًا في أربع وثلاثين سورة، منها سبع وعشرون سورة مكية[(٢)]، ومن الملاحظ أن الذي تكرر تمامًا هو اسم موسى عليه السلام، أما ما يخص قصته؛ فإن ما ذكر في هذه السور هو مواقف متعددة، تمثل في النهاية قصة كاملة تبدأ بالحديث عن ولادته وإرضاعه في سورتي القصص وطه.

---

(١) انظر: المصدر السابق صـ ١٢٢.

(٢) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء صـ ٢٦٤ - ٣٧٦، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي. القاهرة.

قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي .....﴾ [القصص: ٧ - ١٣].

وقال تعالى في سورة طه: ﴿ **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى** {٣٧} **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى** {٣٨} **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ**....﴾ [طه: ٣٧ ٤٠].

ثم خروجه من مصر إلى مدين، والسبب في سورة القصص، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ....﴾ [القصص: ١٥ - ٢١].

ثم يبين القرآن الكريم توجُّه موسى عليه السلام إلى مدين، فقال: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ {٢٢} وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ....﴾[القصص: ٢٢ - ٢٤].

ثم تبين الآيات كيف كانت مصاهرة الشيخ الكبير (نبي الله شعيب). قال تعالى: ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا**.....﴾ [القصص: ٢٥ - ٢٨].

ثم تصف الآيات بعثته إلى الوادي المقدس وأهله معه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {٢٩} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {٣٠} .....﴾ [القصص: ٢٩ - ٣٥].

وحول هذه المعنى يقول الله تعالى في سورة النمل: ﴿ **إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** {٧} فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٨} .....﴾ [النمل: ٧- ١٢].

وفي سورة طه: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {٩} إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا.....﴾ [طه: ٩ - ٣٦].

ثم عودته إلى مصر ودعوته لفرعون كما توضحها الآيات، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا

جَاءَهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ {٣٦} وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {٣٧} وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ{٣٨}﴾ [القصص: ٣٦ - ٣٨].

وفي سورة يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ ....﴾ [يونس: ٧٥ - ٨٩].

وفي سورة طه: ﴿ **اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي** {٤٢} **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**{٤٣}**....**﴾ [٤٢ - ٧٦].

وفي سورة الشعراء: ﴿ **وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** {١٠} **قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ** {١١}....﴾[الشعراء: ١٠ - ٥٩].

وفي الأعراف قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ** ....﴾ [الأعراف: ١٠٣ - ١٢٧].

وبعدما دعا موسى وأخوه هارون فرعون توضح الآيات أن الله تعالى قد أنجى موسى ومن معه وأغرق فرعون وجنوده.

قال تعالى: ﴿ **وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ** {٣٩} **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ**.....﴾ [القصص: ٣٩- ٤٠].

وفي يونس: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ .....﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٣].

وفي سورة طه: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى {٧٧} فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ {٧٨} وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى {٧٩} يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ .....﴾ [طه: ٧٧ - ٨٠].

وفي سورة الشعراء: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ {٦٢} ....﴾ [الشعراء: ٦٢ - ٦٨].

وفي سورة الأعراف: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا ....﴾ [الأعراف: ١٢٨ - ١٣٧].

وفي سورة الزخرف: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ .....﴾ [الزخرف: ٥١ - ٥٦].

وفي سورة النازعات: ﴿ فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى{٢٠} .....﴾ [النازعات: ٢٠ - ٢٩].

وهكذا تصل الأحداث إلى مواقف بني إسرائيل المتعددة مع موسى وأخيه، وما فعله السامري، ومسألة البقرة، وإيذاء بني إسرائيل لموسى، والسبعين رجلاً، وطلب رؤية الله جهرة، والتبشير بمحمد ﷺ، وقصة العبد الصالح معه، .... وغيرها من المواقف التي تمثل حياة موسى عليه السلام، خاصة ما يتعلق بدعوته[1].

وهذه المواقف - في مجملها – تكون القصة الكاملة لموسى عليه السلام، وهنا تبرز علاقة التجميع التي من شأنها التجميع بين هذه النصوص المكونة للقصة؛ فهي تقسم إلى عدة حلقات، تعرض كل منها في سورة، أو أكثر أحيانًا، مع اختلاف الأسلوب بما يتلاءم مع طبيعة الجو العام للسورة الوارد فيها النص. وهكذا تلعب علاقة التجميع دورًا بارزًا في تجميع وضم أحداث القصة الواحدة من سور متفرقة.

وإذا انتقل بنا الحديث إلى النموذج الآخر وهو الموضوع القرآني فإننا نجد – كذلك – أن هذه العلاقة تلعب دورًا فاعلاً في تجميع ما تشتت وما تفرق من عناصره.

وفي القرآن الكريم موضوعات متعددة، قد تفرقت عناصر كل موضوع منها في سورمتفرقة متباعدة ومتقاربة.

ومن الموضوعات القرآنية – على سبيل المثال – موضوع: (التجارة).

فقد تحدث القرآن الكريم عن إباحتها، فقال:﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وذلك أثناء الحديث عن فريضة الحج.

وقال – أيضًا – في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ .....﴾ [النساء: ٢٩].

وفي سورة الجمعة قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال –أيضًا- في سورة الجمعة ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

وتحدث القرآن الكريم عن عقودها فقال تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

---

(١) انظر: عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء صـ ١٨٩ - ٣٦٠، مكتبة دار التراث القاهرة ، ط٢، بدون.

وتحدث عن – رهانها – فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وتحدث عن – الدين – فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

إلى غير ذلك من الموضوعات القرآنية، وهي – كما هو معلوم عنها – كثيرة أوردها القرآن الكريم لمعالجة شئون العباد في حياتهم الدنيا والآخرة.

ومن هنا تتضح لنا أهمية هذه العلاقة في الجمع والضم بين شتات أفكار الموضوع الواحد عبر وحدات النص القرآني. ولا شك أن هذه العلاقة تؤكد لمحة حذاقنا من السلف والخلف، حيث حديثهم عن الوحدة التي تربط بين المعاني في سور القرآن. فهي على الرغم من تعددها تصلح مدخلاً ملائمًا لتفسير القرآن تفسيرًا موضوعيًا.

- علاقة الاستكمال

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي علاقة الاستكمال، ومفهومها: أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سورة ما قد حذف منه عنصر إفرادي أو تركيبي فتأتي آيه أو جملة في سورة أخرى فيستكمل منها المحذوف.

وثمة كثير من المحذوفات في آيات القرآن الكريم يقدرها المفسرون ومعربو القرآن من جنس المذكور في نظائرها، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩]، قال ابن خالويه في الحجة: و(إذ) في أول الكلام متعلقة بفعل دليله قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦] (١).

هنا نجد أن المؤلف قد قدر الفعل المحذوف اعتمادًا على آية أخرى في سورة أخرى. ومثله كثير في كتب الإعراب والتفسير.

---

(١) ابن خالويه ، الحجة في القرءات السبع صـ ١٦٣ تحقيق د. عبدالعال سالم. دار الشروق، بيروت، ط:٤، سنة ١٤٠١هـ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٨٤]. قدر المعربون (حالاً) محذوفة، تقديرها (فرادي)، وهو مستفاد من سورة (الأنعام)، قال تعالى: ﴿جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤][١].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

اختلف المعربون في متعلق ﴿بِآيَاتِنَا﴾ فقيل ﴿يَصِلُونَ﴾، وقيل ﴿نَجْعَلُ﴾، وقيل ﴿الْغَالِبُونَ﴾، والمعنى أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا. فـ﴿آيَاتِنَا﴾ داخل في الصلة تبيينًا[٢].

وقيل متعلقة بمحذوف، أي: اذهبا بآياتنا، متعلق بمحذوف قد ظهر في مواضع أخرى من القرآن الكريم. كقوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ [طه: ٤٢].

وقوله ﷻ: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٦]، وقوله جل شأنه: ﴿قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥].

قال صاحب روح المعاني: «﴿بِآيَاتِنَا﴾ متعلق بمحذوف قد صرح به مواضع أخرى، أي: نسلطكما بآياتنا»[٣].

ومن نماذجها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾ [الزمر: ١٤] فجواب الشرط – هنا – جملة غير تامة، تحتاج إلى تقدير محذوف، تقديره ورد في (سورة النمل: ٩٢).

قال الكرماني: - قوله: ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ**﴾، وفي آخر النمل: ﴿**فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾ [النمل: ٩٢]، لأن هذه السورة – الزمر – متأخرة عن تلك السورة – النمل – فاكتفى بذكره فيها»[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

---

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٤/ ١٤٧.

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط ٨/ ٣٠٤.

(٣) انظر: الألوسي ٢٠/ ٧٨.

(٤) الكرماني، أسوار التكرار في القرآن صـ ٢١٩.

أعرب المعربون كلمة: (بلاغ) خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: (هذا)، وقد صرح به في آية من سورة أخرى، قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢][(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] جواب (إذا) محذوف، فيقدر من جنس المذكور في نظائره، والتقدير: نُبعث أو نرجع لظهوره في نحو قوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦][(٢)].

ومن ذلك – أيضًا – قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ...﴾ [الانشقاق: ١]، حيث ذكر الزمخشري أن الجواب محذوف، وتقديره مصرح به في سورتي التكوير والانفطار[(٣)]، وهو قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ٤]، وقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، ويلاحظ أن السورتين (التكوير والانفطار) أسبق في ترتيب المصحف من سورة الانشقاق.

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة الدالة على علاقة الاستكمال في لغة القرآن الكريم، وقد رأينا كيف كان دورها بارزًا في الربط بين وحدات النص القرآني، وذلك من خلال الاستدعاء بين النظائر من الآيات والجمل، وذلك ردًا للمحذوف واستكمالاً لما ورد فيه الحذف.

- علاقة الإتمام

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي (علاقة الإتمام). ومفهومها: أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سورة ما متممًا لآية أو جملة أو أكثر في سورة أخرى.

ومن الأمثلة الدالة على هذه العلاقة سورة المعارج – كما ذكر السيوطي – التي جاءت «كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار، وقال ابن عباس: إنها نزلت عقب سورة الحاقة وذلك أيضًا من وجوه المناسبة في الوضع»[(٤)].

---

(١) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب ٢/ ٧٢٤.

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/ ٤.

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/ ٢٣٤.

(٤) السيوطي ، تناسق الدرر في تناسب السور صـ ١٢٨، وراجع – أيضًا – من نفس المصدر صـ ١٠٧=

قال تعالى في سورة الحاقة يصف يوم القيامة وعذاب النار: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ {١٣} وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً {١٤} فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ {١٥} وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ {١٦} وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ {١٧} يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ{١٨}.....﴾ [الحاقة: الآيات من ١٣ - ٣٧].

وقال تعالى في سورة المعارج إتمامًا لهذا الوصف: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ {٨} وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ {٩} وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا {١٠} يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ {١١} وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ {١٢} وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ {١٣} ....﴾ [المعارج: الآيات من ٨: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ {٤٣} خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ {٤٤}﴾ [المعارج: ٤٣ - ٤٤].

ومن الأمثلة الدالة – أيضًا – على علاقة الإتمام سورة الكوثر، فهي – كما يقول الإمام الرازي – : «كالتتمة لما قبلها من السور» [(١)]، ثم بدأ يوضح ذلك قائلا : « فلأن الله تعالى جعل سورة ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١] ، في مدح محمد عليه الصلاة والسلام وتفصيل أحواله.

* فذكر في أول السورة ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته.

أولاً: - قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣].

وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾ [الضحى: ٤].

وثالثها: قوله تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾ [الضحى: ٥].

ثم ختم هذه السورة بذكر ثلاثة أحوال من أحواله ﷺ فيما يتعلق بالدنيا، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى {٦} وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى {٧} وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى {٨}﴾ [الضحى: ٦ - ٨].

=حيث يوضح السيوطي نموذجًا آخر من نماذجها ، قائلاً: «أقول وجه اتصالها (أي سورة النمل). بما قبلها أنها كالتتمة لها (أي سورة الشعراء) في ذكر بقية القرون فزاد سبحانه فيها ذكر سليمان وداود، وبسط فيها قصة لوط أبسط مما في الشعراء».

(١) الرازي التفسير الكبير ١٦/ ٦٧٣

* ثم ذكر في سورة (ألم نشرح) أنه شرفه بثلاثة أشياء:

أولها: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الانشراح: ١].

وثانيها: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ {٢} الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ {٣}﴾ [الانشراح: ٢- ٣].

وثالثها: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ{٤}﴾ [الانشراح: ٤].

*ثم إنه تعالى شرفه في سورة التين بثلاثة أنواع من التشريف:

أولها: أنه أقسم ببلده وهو قوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ [التين: ٣].

وثانيها: أنه أخبر عن خلاص أمته من النار، وهو قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التين: ٦].

وثالثها: وصولهم إلى الثواب، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦].

ثم شرفه في سورة (أقرأ) بثلاثة أنواع من التشريف:

أولاً: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

وثانيها: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ {١٧} سَنَدْعُو الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧ - ١٨]، أي أنه قهر خصمه.

وثالثها: أنه خصه بالقربة التامة، وهو قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

* وشرفه في سورة (القدر) بليلة القدر التي لها ثلاثة أنواع من الفضيلة:

أولها: كونها ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

وثانيها: نزول ﴿الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤].

وثالثها: كونها ﴿سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

* وشرفه في سورة (لم يكن) بأن شرف أمته بثلاث تشريفات:

أولها: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

وثانيها: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٨].

وثالثها: ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ [البينة: ٨].

* وشرفه في سورة (إذا زلزلت) بثلاث تشريفات:

أولها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤].

وذلك يقتضي أن الأرض تشهد يوم القيامة لأمته ﷺ بالطاعة والعبودية.

والثاني: قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]، وذلك يدل على أنه تعرض عليهم طاعاتهم فيحصل لهم الفرح والسرور.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، ومعرفة الله – لا شك – أنها أعظم من كل تعظيم فلابد وأن يصلوا إلى ثوابها.

* ثم شرفه في سورة (العاديات) بأن أقسم بخيل الغزاة من أمته ﷺ، فوصف تلك الخيل بصفات ثلاثة: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا {١} فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا {٢} فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا {٣}﴾ [العاديات: ١-٣].

* ثم شرف أمته في سورة (القارعة) بأمور ثلاثة:

أولها: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦].

ثانيها: أنهم ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧].

وثالثها: أنهم يرون أعداءهم في: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١١].

* ثم شرفه في سورة (التكاثر) بأن بين أن المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاثة أوجه:

أولها: أنهم يرون الجحيم.

وثانيها: أنهم يرونها عين اليقين.

وثالثها: أنهم يسألون عن النعيم.

* ثم شرف أمته في سورة (والعصر) بأمور ثلاثة:

أولها: الإيمان: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: ٣].

وثانيها: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣].

وثالثها: إرشاد الخلق إلى الأعمال الصالحة، وهو التواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

* ثم شرفه في سورة (الهمزة) بأن ذكر أن من همز ولمز، فله ثلاثة أنواع من العذاب.

أولها: أنه لا ينتفع بدنياه ألبتة.

وثانيها: أنه سينبذ في الحطمة.

وثالثها: أنه يغلق عليه تلك الأبواب حتى لا يبقى له رجاء في الخروج، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨].

* ثم شرفه في سورة (الفيل) بأن رد كيد أعدائه في نحرهم من ثلاثة أوجه:

أولها: جعل كيدهم في تضليل.

ثانيها: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣].

ثالثها: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥].

* ثم شرفه في سورة (قريش) بأنه راعي مصلحة أسلافه من ثلاثة أوجه:

أولها: جعلهم مؤتلفين متوافقين: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١].

وثانيها: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [قريش: ٤].

وثالثها: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

* وشرفه في سورة (الماعون) بأن وصف المكذبين بدينه بثلاثة أنوع من الصفات المذمومة:

أولها: الدناءة واللؤم، وهو قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ {٢} وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ{٣}﴾ [الماعون: ٢ - ٣].

وثانيها: ترك تعظيم الخالق، وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ {٥} الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ {٦}﴾ [الماعون: ٥ - ٦].

وثالثها: ترك انتفاع الخلق، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧].

ثم إنه سبحانه وتعالى لما شرفه في هذه السور من هذه الوجوه العظيمة، قال بعدها: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، أي: إنا أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة في السور المتقدمة التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها، فاشتغل أنت بعبادة هذا الرب، وبإرشاد عباده إلى ما هو الأصلح لهم»[1]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وكما هو واضح جلي مدى أهمية دور هذه العلاقة «علاقة الإتمام» في تماسك وترابط وحدات النص القرآني الستة عشرة. حيث التناسب القائم على رصد المعاني التي من شأنها التعبير عن تشريف النص القرآني للرسول ﷺ بدءًا من سورة الضحى، مرورًا بسورة الشرح، والتين، والعلق، والقدر، والبينة، والزلزلة، والعاديات، والقارعة، والتكاثر، والعصر، والهمزة، والفيل، وقريش، والماعون، حتى سورة الكوثر التي بها تُمِّم التشريف المنعقد بدايته في سورة الضحى.

---

(١) الرازي، التفسير الكبير ١٦/ ٦٧٣إلى ٦٧٦.

- علاقة التحقيق

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي علاقة التحقيق. والمراد بها: أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سورة ما يتحدث عن أمر فيه خبر من الأخبار فتأتي آية أو جملة أو أكثر في سورة أخرى وتحقق ذلك الخبر.

وتُستنبط هذه العلاقة من كلام الإمام السيوطي عن السورتين إذا كانت بداية إحداهما قسم على تحقيق ما في سابقتها.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ {١} وَلَيَالٍ عَشْرٍ {٢} وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ {٣} وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ {٤} هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ {٥} أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ {٦} إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ {٧} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ {٨} وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ {٩} وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ {١٠} الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَدِ {١١} فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ {١٢} فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ {١٣} إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ{١٤}﴾ [الفجر: ١ - ١٤].

حيث جاءت هذه الآيات تحقق ما ختم به السورة التي قبلها. حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ {٢٥} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ {٢٦}﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وفي ذلك يوضح السيوطي في الدرر: «لم يظهر لي من وجه ارتباطها (يعني الفجر) سوى إن أولها كالأقسام على صحة ما ختم به السورة التي قبلها (يعني الغاشية).. وعلى ما تضمنه من الوعد والوعيد»[(١)].

ومن أمثلتها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿إِنَّا **أَنذَرْنَاكُمْ** عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، الذي اراتبط بقوله تعالى من سورة المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا {١} فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا {٢} والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا {٣} فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا {٤} فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا {٥} عُذْرًا أَوْ نُذْرًا {٦} إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ {٧}﴾ [المرسلات: ١ ٧] وقوله تعالى من تفس السورة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وقد تكرر في أكثر من موضع من السورة الكريمة.

وهكذا ربطت علاقة التحقيق بين ما جاء في أوائل المرسلات وخاتمة النبأ، حيث

---

(١) السيوطي ، تناسق الدرر صـ١٣٦.

إن ما جاء في أول المرسلات قسم على تحقيق ما في (النبأ).

ومن أمثلتها – أيضًا – قوله تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا {١} فَالْحَامِلاَتِ وِقْرًا {٢} فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا {٣} فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا {٤} إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ {٥} وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ {٦}﴾ [الذاريات: ١ ٦]، الذي جاء أوله قسمًا على تحقيق ما في سورة (ق) قال تعالى في سورة (ق): ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ {٤١} يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ {٤٢} إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ {٤٣} يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ {٤٤} نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ {٤٥}﴾ [ق: ٤١ - ٤٥].

- علاقة وصف الإطار الزمني

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي (علاقة وصف الإطار الزمني)، ومفومها: أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سورة ما يتحدث عن حدث فتأتي آية أو جملة في سورة أخرى وتحدد الإطار الزمني الذي فيه يتحقق الحدث الوارد ذكره من قبل.

وتستنبط هذه العلاقة من كلام السيوطي حيث حديثه عن وجه الاتصال بين سورة البينة والزلزلة. قال السيوطي: «لما ذكر في آخر لم يكن (يعني البينة) أن جزاء الكافرين جهنم، وجزاء المؤمنين جنات . قيل: متى يكون ذلك؟ فقيل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، أي حين تكون زلزلة الأرض إلى آخره»[(١)].

وتوضيح هذه العلاقة من خلال بسط الآيات كالتالي:

قال تعالى في سورة البينة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ {٦} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ {٧} جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ{٨}﴾ [البينة: ٦ - ٨].

ثم جاء تحديد الإطار الزمني لهذا العقاب - أي عقاب الكافرين والمشركين، وإثابة المؤمنين – في فاتحة سورة الزلزلة، قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا {١} وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا {٢}﴾ [الزلزلة: ١، ٢].

---

(١) السيوطي ، تناسق الدرر صـ١٤٢.

- علاقة المقابلة

من العلاقات النصية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي (علاقة المقابلة)، ومفهومها: أن يكون ظاهر الآيات أو الجمل في سورة ما مقابلاً لما ورد في آيات أو جمل في سورة أخرى.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك أن سورة الكوثر كالمقابلة لسورة الماعون قبلها؛ لأن الماعون وصف الله سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور كما يقول الإمام الرازي.

«أولها: البخل وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ يَدُعُّ الْيَتِيمَ {٢} وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٢، ٣].

الثاني: ترك الصلاة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥].

الثالث: المراءاة في الصلاة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٦].

الرابع: المنع من الزكاة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧].

فذكر في السورة (أي: الكوثر) في مقابلة ملك الصفات الأربع صفات أربعة.

فذكر في مقابلة البخل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [الكوثر: ١]، فأعط أنت الكثير، ولا تبخل.

وذكر في مقابلة ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ**﴾، قوله تعالى: ﴿**فَصَلِّ**﴾ [الكوثر: ٢]، أي دم على الصلاة.

وذكر في مقابلة ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾ قوله تعالى: ﴿**لِرَبِّكَ**﴾ [الكوثر: ٢]، أي ائت بالصلاة لرضا ربك، لا لمراءاة الناس.

وذكر في مقابلة: ﴿**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ قوله تعالى: ﴿**وَانْحَرْ**﴾ [الكوثر: ٢]، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي[١].

هذا، والمقابلة أو التقابل من وجوه التناسب بين السور عند الإمام السيوطي في كتابه تناسق الدرر في تناسب السور[٢].

---

(١) الرازي، التفسير الكبير ١٦/ ٦٧١ إلى ٦٧٢.

(٢) انظر: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور صـ ١٤٤ - ١٤٥.

والآن ـ وبعد هذا العرض المطول لظاهرة الربط والوصل في لغة القرآن الكريم عبر شبكة العلاقات النصية ذات النمطين : (**المحلي والاستدعائي**) ، وذلك من خلال نوعين من الترابط النصي: **اللفظي والمفهومي** – فلينتقل بنا البحث إلى الفصل الثاني من هذا الباب ؛ لنرى دور هذه العلاقات بنمطيها، وكذا فاعليتها في الوصل والربط بين وحدات سياق نص السورة القرآنية .هذه جهة ، ومن جهة أخرى مدى صلة وحدات سياق نص هذه السورة وعلاقتها بعموم سياق النص القرآني العام.

***